مارتنيك وباربادوس

رحلات كاريبية:

المارتنيك وباربادوس

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

ⓒ محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

المارتينيك وباربادوس / محمد ناصر العبودي – الرياض ، ١٤٢٩هـ

١٨٠ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ١-٠٨٧١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- جزر الكاريبي – وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٧,٢٩٠٤ ١٤٢٩/٣٩٢٨

رقم الايداع: ١٤٢٩/٣٩٢٨

ردمك: ١-٠٨٧١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٥هـ.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية).

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وأنتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) رحلات كاريبية (بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان) وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١١١) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١١٢) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١١٣) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١١٤) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١٥) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١١٦) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١٧) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٨) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٩) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٢٠) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢١) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٢٢) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٢٣) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٤) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٢٥) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٢٦) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٢٧) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٨) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٢٩) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٣٠) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣١) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٣٢) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٣٣) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٣٤) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٣٥) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٣٦) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٣٧) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ

(١٣٨) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

مقدمة:

الحمدلله الذي إذا أراد تيسير أمر تيسر، والصلاة والسلام على سيد البشر نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: فإن هذا الكتاب من كتب في منطقة الكاريبي التي كلها تتألف من جزر تختلف كبراً وصغراً وتتفاوت سعة وضيقاً، وهي من الجزر بل الدول التي لم تسبق لي زيارتها من قبل، إذ كنت زرت منطقة البحر الكاريبي قبل ذلك، وكتبت عن تلك الزيارة كتاب (جولة في جزر البحر الكاريبي)، وقد طبع قبل عدة سنوات، ونفدت نسخه الآن، وقد مضت على كتابته ثلاث عشرة سنة، وها أنا الآن أعود إلى البحر الكاريبي ولكن لأرى جزراً جديدة غير التي رأيتها من قبل وأكتب عنها ما تيسر مما تراه في هذا الكتاب.

سبب الرحلة:

وسبب الرحلة هو سبب أكثر الرحلات التي قمت بها وهو الاتصال بالإخوة المسلمين والإطلاع على أحوالهم، ومعرفة كيفية التعاون معهم، بغية مساعدتهم على النهوض بمؤسساتهم الدينية من مدارس ومساجد وجمعيات إسلامية.

وكلها أمور أنشئت رابطة العالم الإسلامي من أجلها وعملت وما تزال تعمل على تحقيقها.

وكان ينبغي لي وأنا (الأمين العام المساعد للرابطة) أن أطلع على أحوال المسلمين وأوضاعهم في بلادهم، وكان ذلك أن سافرت إلى أنحاء العالم جميعه لهذا الغرض، وقد صحبني تيسير من الله سبحانه وتعالى بأن قيدت جميع ما رأيته أو سمعت به مما يتعلق بما رأيته في تلك البلاد، وبخاصة ما يتعلق بأوضاع المسلمين، وحالة مؤسساتهم، أو اللقاء بزعمائهم والأشخاص المؤثرين فيهم والاتفاق معهم على كيفية التعاون على البر والتقوى.

وقد تضمن هذا الكتاب الحديث عن جزيرتين رئيسيتين أولاهما (المارتنيك) وهي أرض فرنسية فيما وراء البحار، إذ كانت مستعمرة فرنسية ولكنها صوتت إلى جانب البقاء داخل الإتحاد الفرنسي.

والأخرى هي (باربادوس) وهي مستعمرة إنكليزية، صارت الآن دولة مستقلة كما سيأتي.

كانت زياراتي لجزر الكاريب التي هي دوله الصغيرة قصيرة لأنها دول محدودة المساحة قليلة المدن، يكفي لمعرفة أحوال المسلمين فيها الوقت القصير، كما أن المسلمين فيها كِلها أقلية عددية لا تصعب الإحاطة بأوضاعهم، ولا الوصول إلى قادتهم وزعمائهم، فضلاً عن زيارة مؤسساتهم القليلة العدد طبقاً لقلة عددهم ولحداثة الوجود الإسلامي في بعض تلك الدول حتى إن بعضها لا يوجد فيها من أهلها الأصلاء من هو مسلم ابن مسلم، وإنما أسلم من أسلموا بأنفسهم، وقد اعتنقوا الإسلام عن رغبة واقتناع، لذلك حسن إسلامهم وصاروا دعاة إلى الإسلام بأنفسهم من حيث أقوالهم وأفعالهم، فهدى الله بهم من هدى من خلقه، مع كونهم لم يعرفوا أهل الإسلام من العرب، ولم يطؤوا ديارهم ولا تعلموا عليهم، وإن كان بعضهم قد تعلم ممن تعلم عليهم.

وقد كنت في زيارتي لهذه المنطقة وحدي فلم يكن يرافقني أحد، ولكن الإخوة المسلمين كانوا يؤنسون غربتي، ويساعدونني على تحمل متاعب السفر.

وعلى أية حال فإن تلك البلاد الكاريبية هي بلاد نائية بجانبها عن بلادنا، والمعلومات عنها شحيحة عند بني قومنا لذلك كانت الكتابة عنها تضيف في تقديري معلومات جديدة وتسجل أشياء غير مسجلة، وهذا ما حدا بي إلى كتابة هذا الكتاب وهو الأمر عينه الذي حدا بي إلى كتابة كتب أخرى مماثلة أو مشابهة، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

إلى جزيرة المارتنيك

إلى جزيرة المارتنيك:

تقع (المارتنيك) في منطقة البحر الكاريبي، وهي جزر أكبرها التي فيها عاصمتها (فورت دي فرانس) ومساحتها الإجمالية ١٠٨٠كم والطقس في الجزيرة يتميز بالرطوبة، ومعدل درجة الحرارة فيها يصل إلى ٢٦ درجة مئوية.

وعدد سكانها (٣٥٩,٥٠٠ نسمة) تنحدر غالبيتهم من أصول إفريقية، والبعض منهم من جذور هندية أمريكية، وتوجد بينهم عروق أوروبية من الفرنسيين، كما وفد إلى الجزيرة في السنوات الأخيرة مهاجرون من العرب واليهود وغيرهم من الجنسيات المختلفة الذين استوطنوا فيها.

يعود تاريخ جزيرة (المارتنيك) إلى عام ١٥٠٢م، حين احتلها الإسبان واستأصلوا سكانها الأصليين ودام الاحتلال فيها ١٥٠ عاماً.

وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي احتل الفرنسيون الجزيرة ثم احتلها الإنكليز ما بين عامي ١٧٦٢ و١٧٩٤، ثم استعمرتها فرنسا وأصبحت مستعمرة فرنسية الى عام ١٩٤٥م ومن ثم صارت مقاطعة من المقاطعات الفرنسية.

كانت جزيرة مارتنيك مسكونة في الأصل بالمحاربين الهنود الكاريبيين الذين كانوا يسمون الجزيرة (جزيرة الزهور) (Madining) ثم سميت الجزيرة باسم مارتنيك على اسم القديس عند الكاثوليكين (مارتن) والذي سماها هو كريستوفر كولومبس.

والجزيرة تتكون من جبال بركانية وعرة وأنهار شديدة الاندفاع وغابات مدارية كثيفة، مثلها في ذلك مثل جزر سانتا لوسيا ودومينيكا التي تقع بقربها.

واقتصادها مرتبط بشكل وثيق بفرنسا التي تديرها ويعيش نحو ثلث السكان في العاصمة (فورت دو فرانس).

مدينة فورت دو فرانس عاصمة المارتنيك

والمارتنيك: جزيرة سياحية وفيها فنادق متنوعة المستويات وتنتشر في الجزيرة كلها فبعضها كبير وعلى أحدث طراز وبعضها صغير ولكنه في الوقت نفسه جميل يعطي شعوراً بالراحة.

الوضع السياسي:

جزر المارتنيك تعتبر مقاطعة فرنسية مع أنها تبعد عن فرنسا بـ ٧,٠٠٠ كيلومتر إلا أنها تتمتع بالاستقلال في إدارة شئونها المحلية تحت إشراف الحكم الفرنسي، فالأوضاع السياسية يسودها الهدوء ولا يشوبها ما يعكر صفو الجزيرة، وليست هناك أي حركات أو ثورات معارضة تستحق الذكر.

الوضع الاقتصادي:

تشتهر جزر المارتنيك بالزراعة لخصوبة أرضها ووفرة مياهها لسقوط الأمطار بغزارة في مواسم معينة من العام، ومن أهم منتجاتها الفواكه

والخضروات بأنواعها، والفائض منها يصدر إلى فرنسا، إلا أن السياسة السياحية أصبحت تهدد النشاط الزراعي بسبب زيادة التوسع في إقامة المجمعات الترفيهية من فنادق ومطاعم على طول الشواطئ حتى داخل الجزيرة، فجمال الطبيعة والمناظر الخلابة والشواطئ الدافئة واعتدال الطقس كانت من وسائل الجذب إلى هذه الجزر.

ففي كل عام يزور الجزر عدد كبير من السياح من أوروبا وأمريكا الشمالية لقضاء إجازتهم فيها حتى أصبح عدد السياح يربو على عدد السكان، ومن هنا كانت السياحة تشكل عنصراً اقتصادياً مهماً في حياة المارتنيكيين، هذا بالإضافة إلى ما تنفقه الحكومة الفرنسية من أموال طائلة على أهل الجزيرة لابقائهم تحت حكمها وهيمنتها، كما أن النواحي الأمنية والأوضاع السياسية الهادئة ساعدتا في ازدهار النشاط التجاري، حيث قامت كثير من الشركات الأوروبية بفتح فروع لها في الجزيرة، فأدى هذا إلى مزيد من الغلاء فارتفع مستوى المعيشة بشكل ليس له مثيل سوى في اليابان، ولهذا اضطرت الحكومة الفرنسية إلى رفع رواتب موظفي الجزيرة إلى ٤٠% عن رواتب موظفيها في فرنسا.

أما أسعار الأراضي والعقارات فإنها غالية بسبب صغر مساحة الجزيرة والإقبال الشديد عليها من مختلف القطاعات، سواء أكان ذلك للاستثمار أم للسياحة أو الاستيطان.

المسلمون في المارتنيك:

زيارتنا للمارتنيك زيارة إسلامية بمعنى أن الغرض الأول هو الاطلاع على أحوال المسلمين، ومعرفة وضعهم الحاضر، وما يمارسونه من عبادات وما لديهم من إمكانات ثقافية ومادية فيما يتعلق بدينهم وما يعترضهم من عقبات وبذلك نجد الحديث عن الإسلام والمسلمين هنا منتشراً في الكتاب، إلاّ أننا أردنا أن نذكر ملخصاً لأحوالهم منذ أن أنشئ المركز الإسلامي وصار مؤسسة رسمية معترفاً بها من الحكومة تحت عنوان (المركز الثقافي الإسلامي).

على أنه كانت أنشئت قبل ذلك جمعية إسلامية على يد أحد الإخوة من

جمهورية السنغال اسمه (ماريكا) وقد سجل الجمعية واستأجر شقة جعلها مسجداً ومسكناً له ثم اختلف مع بعض المسلمين، وبعد فترة سافر من المارتنيك.

المركز الإسلامي:

في عام ١٩٨٤م قامت جماعة من الشباب المسلم الغيور على دينه بإنشاء نواة المركز الإسلامي في العاصمة من خلال إمكاناتها الفردية حيث استأجروا طابقين في مبنى قديم في وسط البلد، فالطابق الأول من المبنى هو قاعة مساحتها الإجمالية ٢١٠م×٨م خصصت مصلى للرجال يفصلها ساتر خصص للنساء، وفي جانب القاعة دورة مياه واحدة.

المركز الإسلامي الثقافي في المارتنيك وفي الطابق الثاني من المبنى المدرسة

أما الطابق الثاني فمساحته ٨م٣xم خصص كفصل دراسي به عدد من الكراسي ومقاعد الدراسة وبجانبه مكتبة صغيرة تحتوي على مجموعة من الكتب الدينية، وإيجار المركز الشهري يبلغ ٨٠٠ دولار أمريكي تدفع الأجرة من قبل أعضاء الجمعية وبعض المسلمين والنصيب الأكبر من الإيجار يدفعه السيد ناصرْ المنصور ووالده.

إدارة المركز:

تقوم بإدارة المركز لجنة منتخبة من الجمعية العمومية للمركز وتتكون اللجنة من الأشخاص الآتية أسماؤهم:

الاسم	الجنسية	الوظيفة
١- السيد محمد انجيلوين	مارتنيك	رئيس المركز
٢- الشيخ محمد امباكي	سنغالي	إمام مسجد المركز
٣- السيد حميد الفريد	فرنسي من أصل مغربي	الأمين العام
٤- السيد يوسف منصور	فلسطيني	نائب الأمين العام
٥- السيد ناصر المنصور	فرنسي من أصل فلسطيني	أمين الصندوق
٦- السيد إبراهيم فيتاليان	مارتنيكي	نائب أمين الصندوق
٧- السيد منيف سلامة		مستشار
٨- السيد عبدالسلام زواوي		مسئول عن التنظيم والشئون الاجتماعية
٩- الأخ محمد منصور	فلسطيني الأصل فرنسي الجنسية	عضو
١٠- المهندس عمر رباش	تونسي	عضو

مع الأخ محمد إنجيلوين رئيس الجمعية الإسلامية في أحـــد الأماكن المنحـــدرة من مدينة فورت دو فرانس

عدد المسلمين:

ليست هناك إحصائية دقيقة لعدد المسلمين في الجزيرة إلا أن التقديرات تشير إلى أن عددهم يتراوح بين سبعمائة وثمانمائة شخص وهم من أصول متعددة فمنهم العرب الذين يشكلون الغالبية ومعظمهم من الفلسطينيين بعدهم المغاربة والجزائريون والتوانسة، وهناك بعض الأفارقة من السنغال ومالي وغينيا إلى جانب المحليين الذين دخلوا الإسلام.

ويعتبر الأخ محمد انجلوين أول من دخل الإسلام من أهل البلاد الأصلاء وستأتي قصة إسلامه في اليوميات، وكان إسلامه في عام ١٩٧٦م، وجميع المسلمين باختلاف درجة تمسكهم بالإسلام ينتمون إلى أهل السنة والجماعة من حيث العقيدة، فليس هناك شيعة أو مذاهب أخرى.

المؤلـــف يتكلم في مسجد المركز الإســـلامي فـــي المارتنيك والشيخ محمد اماكي بجانبه يترجم من العربية إلى الفرنسية

النشاط الإسلامي:

المركز الإسلامي هو الإطار الرسمي للنشاط الإسلامي، و هو بمثابة الجمعية الإسلامية، ولذلك يقوم المركز بنشاطات مختلفة تخدم جميع المسلمين في الجزيرة من أداء صلاة الجمعة والصلوات الخمس والمناسبات الدينية

كالأعياد والاحتفال بتسمية المواليد، وعقد الأنكحة بين المسلمين بالطرق الشرعية وإصدار وثائق لذلك والقيام بتجهيز الموتى وتكفينهم.

كما يقوم المركز بإصدار منشورات إسلامية للتعريف بالإسلام باللغة الفرنسية في محاولة لنشر الإسلام بين الشعب المارتنيكي.

ومن ناحية أخرى يحاول المركز الاستفادة من وسائل الإعلام المرئية في المناسبات كالأعياد أو الدعوات التي توجه إليه من قبل مراكز الأديان الموجودة في الجزيرة، ويؤدي هذه المهمة إمام المسجد الحالي الشيخ/ مباكي السنغالي الجنسية، المبتعث من قبل دار الدعوة والإفتاء في المملكة العربية السعودية، وهو الآن تابع لوزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، كما يقوم الإمام بتنظيم دروس دينية لتعليم أبناء المسلمين مبادئ الإسلام وقراءة القرآن الكريم والطهارة، مرتين في الأسبوع.

المؤلف مع عدد من كبار المسلمين في (فورت دو فرانس) عاصمة المارتنيك

وهناك نشاطات أخرى تتمثل في توعية المسلمين في أمور دينهم وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات الإسلامية في المركز وتفقيه المسلمين، والإجابة على استفساراتهم.

وعلى الصعيد الخارجي قام المركز بإجراء اتصال مع رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي والرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية وترتب على ذلك أن قام وفد من المركز بزيارتين إلى السعودية كان من ثمارهما أن أوفدت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الإمام الحالي للمسجد، وقبول اثنين من أبناء المسلمين في المارتنيك للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أحدهما ابن الرئيس الحالي للمركز الأخ محمد إنجليونين كما تمكنا من الحصول على بعض التبرعات من عدد من المحسنين في السعودية.

تسجيل المركز:

المركز مسجل قانونياً لدى مركز الجمعيات الدينية والثقافية والاجتماعية تم الاعتراف به رسمياً، حسب القوانين الفرنسية الصادرة بهذا الشأن، وأعلن عن ذلك رسمياً في الجريدة المحلية الصادرة بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٢م، تحت رقم م ع ق/٢٨٢، وبموجب هذه القوانين يحق للجمعية ممارسة شعائرها الدينية ورعاية شئونها والمحافظة على عاداتها وتقاليدها في حدود هذه القوانين.

المؤلف أمام مبنى المكتبة العامة في فوردو فرانس عاصمة المارتنيك

هذا وقد صدر في الجريدة الرسمية لجمهورية فرنسا عدد ١١٠٢٦٧ وتاريخ ١٩٨٤/١٢/٢م، التصريح الخاص بتسجيل الأرض التي سوف يبنى عليها المركز الثقافي الإسلامي في المارتنيك وهو يتضمن النص الحرفي التالي:

(٢٠ أكتوبر ١٩٨٤- إعلان بلاغ لدائرة ضبط الأحوال المدنية (بلدية) المارتنيك المركز الثقافي الإسلامي في المارتنيك، أهدافه: تأمين حق ممارسة

تعاليم الدين الإسلامي، ضمن نطاق الروح الدينية الصرفة، تكون بناء على ذلك، مستقلة تماماً عن كل تجمع سياسي، المقر الاجتماعي: ٤٤ شارع اليغر ٩٧٢٠٠٠- فورت دي فرانس) انتهى.

هذا وقد حصل الإخوة المسلمون على رخصة البناء للمسجد باسم (المركز الإسلامي الثقافي) وليس باسم المسجد وحده، وذلك لكونهم يأملون بأنه ستكون فيه منشآت غير المسجد، مثل قاعة محاضرات والمكتبة العامة، والمدرسة التي تعلم أولاد المسلمين إلى جانب سكن للإمام ومسكن للمؤذن.

وقد اشتروا أرض المركز بستمائة ألف فرنك فرنسي، وتساوي ٤٥٠ ألف ريال سعودي أي نحو ١١٥ ألف دولار أمريكي، وهي مغطاة بالأشجار والأعشاب كما تكون الغابات، وقد أهابوا بالإخوة المسلمين أن يزيلوا هذه العوائق من الأرض بأنفسهم توفيراً للمال، فكانوا يخرجون يوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية يعملون في ذلك، ومن لم يستطع منهم أن يخرج بنفسه استأجر عاملاً يعمل عنه في ذلك اليوم، ومع ذلك كان لابد من استئجار الجرافات لإزالة الأشجار الكبيرة وتسوية الأرض.

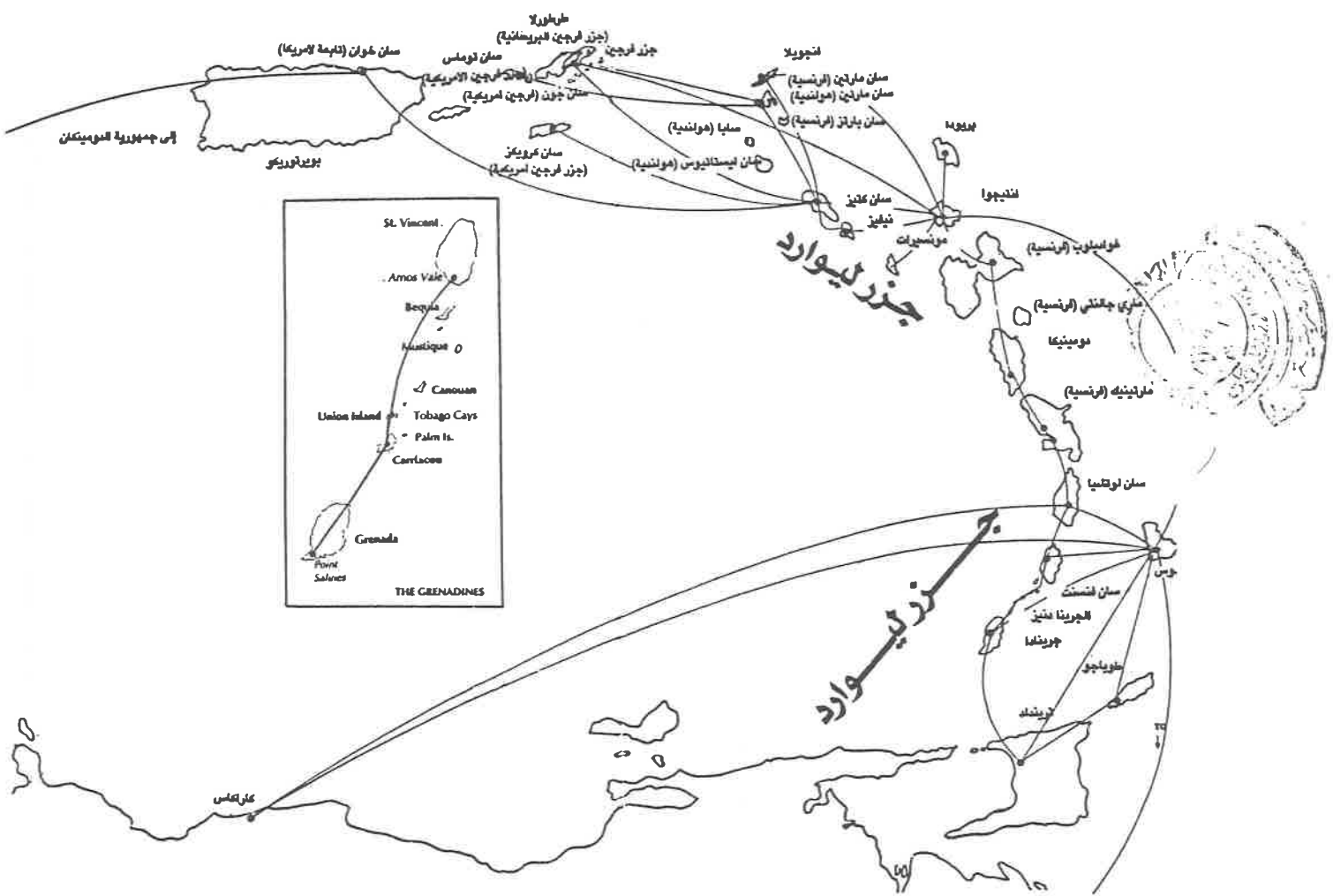
سان خوان (تابعة لامريكا)
سان توماس
(جزر فرجين الامريكية)
طورتولا
(جزر فرجين البريطانية)
جزر فرجين
انجويلا
سان مارتين (فرنسية)
سان مارتين (هولندية)
سان بارتز (فرنسية)
سان جون (فرجين امريكية)
سابا (هولندية)
سان ايستاتيوس (هولندية)
سان كروياكز
(جزر فرجين امريكية)
بورتوريكو
إلى جمهورية الدومينكان
بربودا
انتيجوا
سان كاتيز
نيفيز
مونسيرات
جزر ليوارد
جوادلوب (فرنسية)
ماري جالنتي (فرنسية)
دومينيكا
مارتينيك (فرنسية)
سان لوتاسيا
بربادوس
سان فنسنت
الجرينا دنيز
جرينادا
ترينداد
توباجو
كاراكاس
جزر ويندورد
St. Vincent
Amos Vale
Bequia
Mustique
Canouan
Union Island
Tobago Cays
Palm Is.
Carriacou
Grenada
Point Saline
THE GRENADINES

يوم الأربعاء: ١٤١٦/٥/٢٤هـ-١٩٩٥/١٠/١٨م:

من الرياض إلى باريس:

خرجت من بيتي في الرياض معي ابنيَّ ناصر وطارق إلى مطار الملك خالد الدولي في الرياض، حيث من المقرر أن أغادر مع الطائرة السعودية إلى جدة في الحادية عشرة وخمسين دقيقة ليلاً.

وقد غادرت بالفعل الساعة الثانية عشرة تماماً- منتصف الليل- وبقيت في مطار جدة فترة من الوقت حيث غادرته في الثالثة إلاَّ ربعاً إلى باريس.

وهي من طراز ترايستار، وكنت في الدرجة الأولى المريحة منها حيث يخرج من تحت المقعد جزء منخفض ممتد فتمدد رجليك ولا تبالي كما فعل أبوحنيفة- رحمه الله- وتزيد على ذلك بأن تؤخر المقعد من خلف ظهرك فيصير كله بمثابة السرير.

وكان هذا مريحاً لي لأنني ممن يستعصي عليه النوم في الطائرة إلاَّ إذا كان فيها مثل هذا السرير المريح.

ولم أكن بحاجة إلى طعام أحضروه وأسموه وجبة حارة خفيفة، لأن أم ناصر (زوجتي) قد تأنقت في صنع وليمة وطنية من المطازيز بالفقع ولحم الغنم والخضرات لتكون بمثابة التوديع للأكل العربي اللذيذ الذي تعودنا عليه، بل نشأنا على تناوله.

وقد أعلن مضيف الطائرة أن الطيران من جدة إلى باريس سيستغرق خمس ساعات وثلثاً، وأنه سيكون طيراناً مباشراً.

وقبل الوصول بساعة وربع قدموا وجبة إفطار سخية جداً بل حافلة بما لذ وطاب، وقد اعتنوا في طريقة تقديمها حتى إن الذي يقدمها قد وضع فوق رأس طربوش الطباخين إيذاناً بأنه هو الطباخ.

وتكلم قائد الطائرة وهو مواطن سعودي بكلام بالعربية ثم الإنكليزية كان فصيحاً باللغتين معاً.

فتكلم عن حالة الجو وأننا سوف ندخل جواء الأراضي الفرنسية بعد قليل، والجو في باريس صاح إلاّ من قطع الغيوم.

في مطار باريس:

ومطار باريس الذي يراد به مطار شارل ديقول عند الاطلاق في طائراتنا صار مألوفاً للذين يسافرون إلى هناك، وإن كان بعضهم لا يعلم أن (مطار باريس) هو غير مطار (شارل ديقول) وإنما هو (مطار أورلي) فهو الذي كان يسمى (مطار باريس) ولكن معظم بني قومنا لا ينزلون فيه ولا يركبون منه.

كان هبوطنا في الثامنة والربع صباحاً بتوقيت المملكة من يوم الخميس، وهي السادسة والربع بتوقيت باريس، وذكر مكبر الطائرة أن الحرارة في المطار عند الهبوط (١٣) مئوية ولم أكن أرتدي إلاّ بدلة خفيفة ثقة مني بأنني لن أغادر المطار إلاّ إلى الفندق لبضع ساعات لأنني سأسافر مع الخطوط الفرنسية إلى جزيرة المارتنيك في البحر الكاريبي بعد ظهر اليوم.

وذلك أيضاً ثقة مني بما عرفته عن الخطوط الفرنسية والمسئولين في مطار باريس وسهولة تحويل الرحلات وسرعة إعطاء المسافر العابر ما يحتاج إليه من فندق أو نحوه إذا كان سيبقى مدة، يعطى من أجلها غرفة في فندق وهي أن لا تقل عن ثمان ساعات.

أما أنا وجوازي (دبلوماسي) وتذكرتي بالدرجة الأولى ومعي سمة دخول فرنسية من سفارة فرنسا في المملكة لعدد غير محدد من الرحلات خلال مدة تسعة أشهر فإنني قد جزمت بأنهم سيعطونني الغرفة مهما كان الأمر فأستريح فيها بعض الوقت، وهكذا كان.

غير أن الأمر كان قد تغير بعد نمو حركة الطيران واتساعها فصار

مكتب تحويل الرحلات في قاعات أخرى غير قاعة الدخول استخدموها بجانب المطار، ولابد للانتقال إليها من ركوب حافلة أو أكثر، فقد وجدت في مكتب تحويل الرحلات من قاعة الدخول رجلاً فرنسياً أخبرته بأمري.

فقال: اذهب إلى قاعة رقم (٢ سي) وأشار إلى جهة من القاعة وجدت فيها باباً مغلقاً عليه لافتة تقول إن هذا الباب يفتح آلياً عندما تصل الحافلة.

ووصلت الحافلة ففتح الباب وركبت مع طائفة قليلة من الناس، وقلت للسائق إنني ذاهب إلى القاعة رقم (٢سي) فأرجو أن تشعرني بذلك عندما أصل فقال سوف أفعل، ولكن تبين أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك، فقد كتبوا عبارة بالإنكليزية والفرنسية بحروف كهربائية تقول (نحن ذاهبون الآن إلى قاعة كذا) ثم ذكر سجل رقم القاعة باللغتين.

وبعد بوابتين أعلنت الحافلة بالكتابة والمكبر أننا سنصل إلى القاعة المطلوبة، وقد وجدنا فيها الزحام المرهق والصفوف الطويلة، حاولت أن أجد له حلاً عند أي شخص يعمل في المطار ولكنني فشلت، لقلة العاملين على غير المكاتب فوقفت مع الواقفين أمام امرأة فرنسية متقنة من أولئك الفرنسيات اللآتي جمعن من الأناقة والجمال ما زانته الخبرة والإتقان في العمل، فرغم كثرة الناس خلفي اجتهدت لي بأن أعطتني كل ما طلبت وهو غرفة في فندق هيلتون في مطار أورلي، وتذكرة ركوب الحافلة من مطار (شارل ديقول) إلى مطار (أورلي) ووضحت لي رقم البوابة التي تقف عندها الحافلة.

ذهبت أبحث عنها حتى وجدتها ولم أكد أقف حتى وصلت الحافلة وكان سائقها شاباً خشناً تكلم بفظاظة، وربما كان مرجع ذلك إلى الدعاية السيئة والأثر العميق الذي خلفته الانفجارات التي وقعت في باريس في الأيام المتأخرة، ومنها واحدة خفيفة قرب المطار، ولم أعلم بها ولكن امرأة مغربية كانت تنتظر الحافلة مثلي ذكرت أنها سمعت صوت القنبلة في هذا الصباح

ورأت انزعاج الناس، وقالت: هؤلاء القوم تقصد الأوروبيين عامة لا يحبون العرب، وقد نسبت تلك الانفجارات إلى الجماعات الجزائرية المسلمة.

وتلك المرأة المغربية قادمة من مسقط من عمان ذاهبة إلى المغرب، ركبت الحافلة التي أبطأت واقفة حتى تحركت وكنت ذهبت إلى الجوازات قبل البوابة لختم جوازي ومعي سمة دخول فرنسية غير محددة السفرات لمدة تسعة شهور، ولكن المشكلة في الصفوف الطويلة المتعرجة أمام كاتبة الجوازات التي تزداد طولاً بسرعة لكثرة القادمين.

وسألت عن مكتب الجوازات (الدبلوماسية) كما هو موجود في أكثر بلدان العالم فلم أجده، ولم أجد من موظفي المطار الذين لا يكادون يوجدون متجولين من يفيدني، فعدت للوقوف في الصف الطويل وإن كان خفف من طوله أن بعض الواقفين فيه هم من أهل السوق الأوروبية المشتركة الذين لا يحتاج دخولهم إلى فرنسا إلى إجراءات وقد ختم الموظف على جوازي بسرعة فذهبت للحافلة.

سارت الحافلة في شوارع من شوارع مدينة باريس، وهي وإن كانت تتسم بالذوق والنظافة غير المبالغ فيها، والمراد بذلك هذه المناطق التي تمر بها الحافلة الآن فإنها غير واسعة ولا فخمة ولا تتناسب مع ما في ذهن المرء عن الفرنسيين من ذوق رفيع وعراقة في المدنية.

وقد طال سير الحافلة في ضواحي باريس وكنت ظننت أن مطار أورلي أقرب من ذلك إلى مطار (شارل ديقول) لأنني ركبت منه أي (مطار أورلي) أكثر من مرة، ولكن ذلك كان منذ زمن طويل، كما ركبت أكثر من مرة من المطار الثالث لباريس وهو مطار (لابورجيه) وانتقلت آنذاك من مطار (شارل ديقول) إلى مطار (لابورجيه) على حافلة صغيرة.

وإذا رأى المرء هذه الشوارع في العاصمة الفرنسية وذكر شوارع مدننا

الكبيرة كالرياض وجدة، فإنه يملأه الزهو والإعجاب بأن شوارعنا أوسع ومرورها ينساب على كثرة السيارات أكثر مما هو في هذه الشوارع من باريس، إذ لاحظت أن المرور كان يركد فيها في مواضع كثيرة فيفقد الراكب وقتاً من وقته ثميناً، وبالنسبة إليَّ فإن الوقت ليس مهماً من جهة موعد السفر لأنه متأخر، ولكن من جهة الراحة لأنني لم أنم البارحة، وأنفقت جزءاً من الوقت هذا الصباح واقفاً.

وعند الوصول إلى مطار أورلي طلبت من السائق أن يخبرني عن فندق هيلتون في المطار وكيف أصل إليه، فلم يكن ودياً وإنما أشار إلى جهة قائلاً: هنا، ولم يوضع لي أكثر من ذلك ولم أرَ الفندق في الجهة التي أشار إليها، وسألت امرأة أخرى فقالت: أي هلتون تريد؟ قلت: هلتون أورلي. فقالت هناك وأشارت إلى الرصيف وقالت: سيارة الفندق عليها اسمه مكتوباً فاركبها.

وكنت أعرف مثل ذلك وجربته في السابق، وهو أن الفنادق ترسل سياراتها التي عليها اسم فندقها ولكن السيارات لم تمر، وكان الجو على شيء من الرطوبة، وعليَّ بدلة خفيفة، كل هذا وأنا واقف في الرصيف الذي يدخل منه إلى المطار فرأيت جماعة من الشرطة يسألون كثيراً من الناس أسئلة وينظرون في أوراقهم فسألت أحد الشرطة، فكان جوابه أن قال: أرني جواز سفرك، فقلت له: إنني ليست لدي مشكلة في الجواز، ثم أريته إياه لكونه مختصاً فأشار إلى جهة غير بعيدة، قال: هذا هو الفندق فرأيته على بعد نحو كيلومتر واحد.

ووقفت قليلاً لأنظر إذا كان الشرطي يطلب الإطلاع على جوازات العرب فقط، فإذا به ينظر إلى جوازات أكثر الركاب من أوروبيين وغيرهم من رجال ونساء والذين معه من رجال الشرطة يفعلون فعله.

وذهبت أريد السير على قدمي إليه فوجدت دونه أسواراً من الحديد،

ونفقاً تسير فيه السيارات أسفل الشارع لا أدري كيف أخترقه إلاّ إذا سرت مسافة طويلة فرجعت إلى مكاني كئيباً.

ثم قلت لنفسي: سوف أركب سيارة أجرة وكان موقف سيارات الأجرة غير بعيد غير أنه معقد إذ هناك مئات الأشخاص مع أمتعتهم يريدون ركوب (التاكسي) ورجال ثلاث من شرطة المرور ينظمون ذلك.

وهذا عجب من العجب إذ المفروض أن سيارات الأجرة لا يحتاج ركوبها في هذه البلدة المتقدمة في الإدارة إلى تنظيم، فوقفت في صف طويل، وقد ذكرت حين رأيت الناس يجرون أمتعتهم في الصف الطويل أمام موقف (التاكسي) التي لم تكن تقف فيه إلا لحظة ريثما يركب الراكب تحت إشراف الشرطة ذكرت حسن حظي حين طلبت في الرياض أن تشحن حقيبتي الكبيرة من الرياض إلى جزر المارتنيك في البحر الكاريبي، فلم يكن معي إلا الحقيبة اليدوية الصغيرة.

وصلت مع المنتظرين إلى موقف سيارة الأجرة فطلبت من الشرطي أن يركبني إحدى السيارات التي توصلني إلى فندق هيلتون، وأشرت إليه فتردد قليلاً لأن المسافة قريبة ثم أركبني.

لم يعترض السائق ولكنه دار دورة طويلة بسبب اتجاه السير ثم أوقفني أمام باب الفندق وأعطيته خمسين فرنكاً فرنسياً فلم يرد عليَّ إلا خمسة فرنكات وأخذ الأجرة التي تساوي ثلاثين ريالاً سعودياً وهو مبلغ كبير لهذه المسافة القصيرة.

وجدت في مكتب الاستقبال في الفندق فتى فرنسياً مهذباً أعطاني مفتاح الغرفة، بسرعة وورقة لطعام الإفطار- وأخرى للغداء.

فتناولت إفطاراً متأخراً لأنه بعد العاشرة في مطعم الفندق الذي تخدم فيه نساء فرنسيات في غاية الرقة والتهذيب، ثم ألقيت نفسي في السرير في الغرفة فرحت في نوم عميق لم أرده.

وفي الساعة الثانية ظهراً استيقظت ولم يكن لدي وقت لأتناول فيه طعام الفندق الذي هو طعام شركة (أيرفرانس) التي سأذهب معها إلى المارتنيك.

ووجدت سيارة الفندق حافلة صغيرة ليس عليها أية كتابة إلا كتابة صغيرة الحروف في ورقة ملصقة بزجاج الباب.

وقلت للسائق: إنني ذاهب مع (ايرفرانس) إلى المارتنيك فأرجو أن تنزلني عند مكتبها هناك، ولكنه أنزلني في مكان آخر.

والحقيقة أن هذا المطار مضلة لسعته وتفرق قاعاته وامتداده، ويصعب على غير الخبير به الاهتداء إلى بواباته بخلاف مطار شارل ديقول الذي هو مجتمع واضح.

وبعد سؤال وجواب من الموظفين والموظفات ذهبت طبقاً لإرشاد المرشدين إلى غرب المطار على عربة كهربائية تسير على جسر عالٍ ونزلت عند رقم ذكروه، فلم أكد أهتدي بسهولة إلى مكاتب الترحيل لتلك الرحلة.

وهي في منطقة محدودة من المطار مكتوب عليها بالفرنسية (منطقة الأنتيل) والناس في المطار كثير بشكل لا يتصوره إلاَّ من رآه، وكلهم راحل أو نازل أو مودع.

وجدت على المكتب امرأة فرنسية مجيدة وهو مكتب درجة رجال الأعمال التي نسميها عندنا الأفق، ويسمونها هنا الكلوب بمعنى النادي أو المنتدى لأنه ليست في طائرتهم درجة أولى وإلاَّ فإن تذكرتي مقطوعة على الدرجة الأولى.

وصلت إلى قاعة المغادرة فوجدت عندها تشديداً لم أعهده من قبل، وكانت الضابطة امرأة قوية الشخصية في منتصف العمر تنظر في الجوازات وتتفحص حامليها، ولكنها جاملتني وذلك عند البوابة ذات الرقم عشرة.

ورأيت الركاب عندها جمهوراً ضخماً فيهم عدد من الخلاسيين وهم المولودون

ما بين السود، والبيض بحيث صارت ألوانهم بين بين، وعدد قليل من السود، والأكثر من الأوروبيين المتغيرين بسبب الطقس الحار الرطب في منطقة الكاريبي.

ولم أكن أتصور أن يكون هذا الجمع العظيم لطيارة واحدة لكثرتهم، وقد كتبوا على بوابة الدخول إلى الطائرة أن الهدف هو (فورت دو فرانس) وهي عاصمة المارتنيك.

وجدتهم جعلوا للدخول إلى الدهليز المتحرك الذي يوصل إلى الطائرة بابين أحدهما كتبوا عليه كلمة (كلوب) أي الدرجة الجيدة في الطائرة والثاني الدرجة السياحية، فكان مقعدي في الصف الثاني من مقدمة الطائرة التي تكون للدرجة الأولى، وفي منطقة غير المدخنين، ولكن ليس بها درجة أولى كما سبق، وهي ضخمة من طراز بوينغ ٧٤٧ جامبو ولم يكن ركاب (الكلوب) كثرة بل كان عددهم لا يتجاوز ١٨ راكباً وباقي الركاب في السياحية.

ودرجة رجال الأعمال هذه أو الأفق فاخرة جداً من حيث التنجيد والتهيئة إلاّ أن المسافة بين المقاعد ليست كما هي عليه الحال في الدرجة الأولى عندنا، وليس في الكرسي جزء يخرج من أسفله يضع عليه الراكب رجليه ممتدتين.

وقبل خمس دقائق من الإقلاع أعلنوا أن الإقلاع بعد خمس دقائق.

وهذه الكثرة من الركاب غير متوقعة لأنني كنت أظن أن الشعب في المارتنيك متخلف، وأنها ضيقة، وإلاّ فإنني أعرف أنها أرض فرنسية لها حكم الأراضي الفرنسية، ولذلك عجبت من التشديد في الجوازات مع أن السفر إليها يعتبر سفراً إلى الأراضي الفرنسية مثلما عليه الحال بالنسبة لمن يسافر من غرب أمريكا إلى جزر هاواي التي عاصمتها (هونولولو) حيث يعتبرون الرحلة داخلية.

تحركت الطائرة الضخمة بحملها الذي لم يترك فراغاً فيها إلاّ ملأه بأناس أو متاع فوق مدرج مطار أورلي الذي تحف به بسط سندسية خضر يغبطهم مثلي عليها، إلا إذا تذكر أن عمرها قصير، وأنه لن يمضي وقت

طويل حتى يرين شتاء قاس يذهب خضرتها ويمحو نضرتها.

وجدت المقعد مريحاً جداً قد وضعوا تحت رجلي الراكب فيه كالوسادة يضعها عليها وفي جيب المقعد الذي أمامه مجلة الشركة وبيانات عن الطائرة ونشرات أخرى بينها نشرة تبعث على التقزز إذ هي مخصصة لجمال جسم الرجل، وقالوا في مقدمة حديثهم عنه: إن الجمال نسبي فبعض الناس يعجبون بجمال جسم الرجل.

أما أنا فقد رأيت ذلك منفراً يبعث على التقزز.

ووجدتهم وضعوا على المقعد الحقيبة الصغيرة التي تعطيها الشركات لركاب الدرجة الأولى وفيها ما يحتاجه الراكب وفيها ما هو مخصص للرجال وما هو مخصص للنساء، وهذه الحقيبة التي وضعوها على مقعدي قبل أن أصل هي لرجل لمعرفتهم بالراكب.

وذكرت في نفسي طائرات روسيا التي قدمت منها قبل نحو الشهرين، ورأيتها خاوية من كل شيء حتى نشرات السلامة والبيان عن الطائرة وأي شيء مكتوب.

وخطر في ذهني خاطر مضحك من القلق على حقيبتي التي أرسلتها من الرياض إلى المارتنيك وخشيت من أن تضل طريقها بين هذين المطارين الكبيرين (شارل ديقول) و(أورلي) كما كدت أضل وضحكت في نفسي من ذلك.

وقد استقبلتنا المضيفات وكلهن من المسنات أو المتوسطات في العمر من المتمرسات بالخدمة كما هي العادة في مضيفات الدرجة الأولى لأن الركاب فيها، يكونون أيضاً من المتقدمين في السن في المعتاد.

ومعظم الركاب في درجتنا التي هي بمثابة الأولى في الطائرة من البيض إلا زوجين من السود ولا يوجد فيها أحد من ذوي المظهر العربي غيري.

من باريس إلى المارتنيك:

أقلعت الطائرة من مطار باريس الشهير بمطار أورلي الآن في الثالثة والنصف من بعد الظهر في جو صاح بل مشمس، وكذلك في جو كله جمال من الأتاسي والأماكن الموجودة في المطار خارج المدارج والخضرة السندسية حوله ثم الذوق في تخطيط الريف، ووضع البيوت والمنازل فيه.

حتى إن النساء اللاتي في خدمة الركاب وكلهن من المتوسطات في السن أو المسنات هن على غاية من الذوق الرفيع ومجاملة الركاب.

والحقيقة إن الذوق الفرنسي في تلمس الجمال وإبرازه لا يوجد له نظير عند الأمم الكبيرة حسبما عرفت ذلك بنفسي.

ولا أزال أذكر أول مرة وصلت فيها إلى باريس منذ ٢٦ سنة، وكنت وقتها قادماً من البرازيل في أول سفرة لتلك البلاد التي قدر لي بعد ذلك أن أزورها كثيراً، وأكتب عنها سبعة كتب طبع منها ثلاثة، ثم توالت زياراتي لها، وقد أخذت في أول الأمر بما رأيته فيها من جمال في كل شيء يراه الغريب من الجمال الإنساني إلى الجمال الإنشائي أو التزييني، وحكمت آنذاك بأن فرنسا أحسن بلد أوروبي يقضي فيه المرء إجازته لأنه لن يعدم جمالاً يراه من دون تكلف له أو بحث، وبدون مؤونة أو قيمة، وحكمت أيضاً بأن المرأة الفرنسية هي أقدر نساء الأرض على تجميل وجهها الجميل.

ومع أنني لم أعد النظر في هذه الأمور إلا فيما يتعلق بما هو خلف السطور من طبيعة الحياة الفرنسية الخالية حتى من المتعة لدى بعض الفرنسيين، فإنني الآن أقل شعوراً بذلك الجمال الفرنسي المتمثل بما ذكرته لأننا في بلادنا قد ارتفع ذوقنا، وحسن منظرنا في كل ناحية من نواحي حياتنا، فالبيوت والأثاث فيها تطورت بل انقلبت بها الحال إلى أحسن وأجمل، والملابس قد صارت نظيفة لامعة، وألوان الناس عندنا قد ازدادت صفاء بما

حباها الله بن من نعمة المأكل الطيب والمظهر الصحي والنظافة العامة، ومدننا قد صارت تضاهي في شوارعها وميادينها وأبنيتها المدن الأوروبية، بل تتفوق عليها في بعض الحالات وبعض الأحياء والميادين.

وبذلك اقتربنا من المستوى الأوروبي في هذا المجال وبهذا صرنا لا نحس بما كنا نحس به من قبل من فرق عظيم بيننا وبينهم في هذا المجال.

وفارقت الطائرة أجواء باريس وضواحيها فوصلت إلى منطقة من الريف الفرنسي جميلة التخطيط كأنما هي لوحة فنان عملاق ركب طائراً مجنحاً واستعار له قلماً ينزل من عنان السماء إلى الأرض فرسم هذه اللوحة الجميلة.

وكأنما صارت الطائرة تطلب اللحاق بالشمس المائلة جهة المغيب إلاّ أنها انحرفت عنها بعد قليل قاصدة جهة الشمال الغربي، وعندما رأيتها كذلك تذكرت آخر مرة ركبت فيها من باريس إلى العالم الجديد منذ عام أو يزيد عندما سافرت منها إلى مدينة مكسيكو عاصمة دولة المكسيك، ولكن الطائرة نزلت قبل الوصول إليها في مدينة هيوستن، ولكن كان المهم عندي أنها اتجهت شمالاً إلى هيوستن التي تقع في جنوب الولايات المتحدة حتى صارت تطير فوق الأراضي الكندية، وذكر الطيار ذلك للركاب، ورأينا الثلج من الطائرة في كندا، ثم عادت للطيران جنوباً مخترقة سماء الولايات المتحدة الأمريكية من الشمال إلى الجنوب، فظننت أنها ستفعل مثل ذلك هذه المرة ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك، إذ عادت الطائرة إلى الاعتدال جهة الغرب ثم صارت تطير إلى ايسر المغرب حيث موقع جزيرة المارتنيك التي نقصدها، وتقع في البحر الكاريبي بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية.

وقد أعلن الطيار بعد أن مضت ثلاثون دقيقة على بدء الطيران أننا وصلنا الآن إلى شاطئ المحيط الأطلسي، وقد استمتعت بذلك عندما رأيته لأن مقعدي كان بجانب النافذة.

وكانوا أكثروا من الكلام على طريقة النزول في البحر في حالة الاضطرار لذلك، حتى داخلنا الخوف من احتمال وقوعه.

وعندما كانت الطائرة تطير في سماء المحيط الأطلسي الشرقي وقد تياسرنا قليلاً حتى صارت بحذاء الأندلس ذكرت أن قوماً من بني قومنا المسلمين أهل الأندلس قد عزموا على سبر غور هذا البحر العظيم الذي كانوا يسمونه (البحر المحيط الأعظم) فركبوا سفناً جهزوها لهذا الغرض وأقسموا على أنفسهم أن يسيروا بها حتى يصلوا نهاية هذا البحر أو يهلكوا دونه فأمضوا في البحر شهرين ثم رمتهم الأمواج بعد أهوال صادفوها في البحر إلى جزيرة تبين لهم بعد ذلك أنها جزائر الخالدات التي كانوا يسمونها جزائر السعادة وتعرف الآن باسم جزر الكناريا، كما سيأتي نقله عن الحميري، بإذن الله.

ولو كان هؤلاء الفتية وصلوا إلى الشاطئ الغربي للمحيط الأطلسي لكان لنا شرف اكتشاف العالم الجديد، ولكن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان، وإلا لقلنا (لو) كان العرب الأندلسيون لم يختلفوا فيما بينهم ولم يتنازعوا حتى فشلوا وذهبت رياحهم، ولم يتعاونوا مع عدو المسلمين في سبيل منافعهم الشخصية وتقوية مراكزهم في الحكم لما ضاعت الأندلس!

هذا وفي مقدمة الطائرة اللوحة الإلكترونية الحديثة التي توضح مكان الطائرة وبيان الارتفاع والسرعة ودرجة الحرارة خارج الطائرة والوقت في بلد المقصد وما تبقى من الرحلة وهي لوحة مفيدة طويلة.

وأذكر أننا عندما استقر بنا الجلوس في الطائرة سارعت المضيفة تسأل الركاب عن الشراب الذي يريدونه فطلبت عصير البرتقال ظاناً أنني الوحيد الذي أطلبه وأن الآخرين وهم ليسوا مسلمين سيطلبون شراباً مسكراً ولكن تبين أن ٩٠% منهم طلبوا عصير الفاكهة وشراباً غازياً ولم يطلبوا خمراً.

ولاشك في أن مرجع ذلك إلى ارتفاع المستوى الثقافي الذي جعلهم يعرفون مضار المشروبات الكحولية فيرفضون شربها في بعض الحالات.

وقد أكثروا من الإعلان بالمكبر فيما يتعلق بالرحلة، وكان إعلانهم بالفرنسية والإنكليزية، وسألوا الركاب عما يفضلونه من الطعام حتى يطبخوه لهم، كما أنهم أعلنوا أن الطيران سوف يستغرق ثمان ساعات إلا خمس دقائق.

وكان الطيار يتكلم بنفسه عن الأشياء التي نمر بها فقال مثلاً قبل الوصول إلى المحيط الأطلسي: أننا بعد ٧ دقائق سنصل شاطئ المحيط.

إلاّ أن هذا المحيط خالٍ من الجزر، بل هو لجة زرقاء وهذا من أسباب استعصائه على الأقدمين أو عدم سبرهم غيره لأنه لو كانت فيه جزر لكانوا اتخذوها قاعدة لهم ينطلقون منها إلى شواطئه الغربية فما وراءها.

وقدموا غداء جيداً كانت المقبلات أو المقدمات فيه كما تكون في الدرجة الأولى المعتادة، فهي من الكافيار الأحمر الذي هو البطارخ أو بيض السمك، ولكن الأحمر منه أدنى قيمة وقدراً عند الناس من الكافيار الأسود الشهير الذي بلغ ثمنه من الغلاء حداً لا يكاد يصدق وهو بيض سمك خاص لا يوجد إلاّ في بحر الخزر المعروف الآن ببحر قزوين، وقد أكثروا مع المقبلات من شرائح سمك السالمون المدخنة وهي لذيذة الطعم غالية القيمة أيضاً.

ولا منظر خارج الطائرة إلا منظر السماء والماء الذي لا يتغير وإن كانت تعلو منظر الماء في بعض الأحيان قطع من الغيم الخفيف ترقش صفحة المحيط بنقوش بيض.

ثم أقبلت الطائرة على غيم يشبه الغبار قد جلل أفق البحر فأضاء الطيار مصابيح ربط الحزام، وقد عرضوا على شاشة سينمائية في الطائرة شريطاً سينمائياً وعدداً من الإعلانات.

اللحاق بالشمس:

استمر الطيران وما تزال الشمس في موضعها من السماء كأنما حبسها حابس من أجلنا، وذلك بأننا نسير جهة الغرب وطائرتنا سريعة لو زادت سرعتها قليلاً لسارت مثل سرعة الشمس فيما يحس به الإنسان، ولدخلنا المارتينيك بعد

طيران استمر سبع ساعات في مثل الساعة التي غادرنا فيها باريس، ولكن سرعة الطائرة أقل، ومع ذلك بدا كأنما الشمس لا تتزحزح عن موضعها من الغرب.

وكان المنظر من الطائرة رئيباً هو صفحة المحيط الزرقاء ترقشها غيمات صغيرة متقاربة وقد أغلقوا نوافذ الطائرة بعد ذلك لأن لا منظر يستمتع به الركاب كما قدمت وعرضوا شريطاً سينمائياً طويلاً، ومن الركاب من لم يرقه النظر إليه فذهبوا في إغفاءة لذيذة وأنا منهم.

ومن أجمل ما في هذه الرحلة اللوحة الإلكترونية أمام الركاب تعرض فيها طول الوقت بيانات الرحلة من السرعة والارتفاع وكم بقي على الوصول من وقت ومن مسافة، كل ذلك مكتوب باللغتين الإنكليزية والفرنسية.

ولم نمر في هذا المحيط العظيم بأية جزيرة أو أرض يابسة، ولعل ذلك ما حمل أسلافنا العرب على تسميته ببحر الظلمات.

هذا وقد تكلم الطيار قبل الوصول إلى المارتنيك بفترة فذكر أن الحرارة فيها هي ٢٨ درجة مئوية وأن الجو غائم.

وهذه درجة حرارة مرتفعة إذا كانت مع الرطوبة العالية والتبخير الشديد كما في حالة المارتنيك.

في مطار المارتنيك:

خطر على بالي خاطر سررت له والطائرة تهم بالنزول في مطار المارتنيك وهو أن دخولي إليها دخول سار ولله الحمد فمن الناحية الشخصية معي جوازي (الدبلوماسي) الذي ظللت أحمله والمراد أمثاله من الجوازات (الدبلوماسية) منذ ربع قرن ومعي فيه سمة دخول للأراضي الفرنسية غير محددة السفرات وصالحة لتسعة أشهر يمكنني أن أقيم في الأراضي الفرنسية ثلاثة أشهر إذا أردت بدون حاجة إلى أي إجراء، ومن الناحية العامة فإنني ذاهب إليها باسم منظمة إسلامية عالمية، وأحمل معي نقوداً منها للمسلمين لأصرفها كما أرى للجمعيات الإسلامية، ورؤسائها والعاملين فيها.

كان الظلام قد خيَّم على المنطقة منذ دقائق ولذلك لم أر من الجزيرة إلا أنوارها التي كانت ساطعة بدون إسراف، وقد بدت الجزيرة من أنوارها الساطعة ممتدة طولاً في عرض غير متسع وتنعكس أنوار الساحل فيها على مياه ضحلة خضراء.

واتسعت الأنوار مع اقتراب الطائرة من المطار فتجاوزناها موغلين في جواء البحر والطائرة تتنزل من عليائها ومع ذلك لا تزال بينها وبين أرض الجزيرة قطع من السحاب المنخفض الذي يبدو إذا ما عارضته الطائرة وكأنما هو يغذّ السير ولا أدري إلى أين؟ إلا أنه للذوبان والاضمحلال بعد أن يهريق ماءه، أو أن تتاح له ريح جافة تمزق أحشاءه وتذيب أجزاءه.

وهبطت في مطار المارتنيك في السابعة إلا ثلثاً بالتوقيت المحلي للمارتنيك، ويساوي ذلك الثانية عشرة إلا ثلثاً قبل منتصف الليل بوقت باريس، وهي الثانية إلا الثلث بتوقيت بلادنا.

ولاحظت أن أنواره خافتة، ولكن توجد فيه طائرات عديدة، واقتربنا من مبنى المطار فبدت أنواره ساطعة وهو متسع كثير المرافق.

وفتحوا باب الطائرة على خرطوم أو إن شئت قلت: إنه الدهليز المتحرك مما لم يكن متوقعاً، كما لم يكن بالمتوقع أن تطير إليه من باريس طائرة عملاقة مليئة بالركاب.

ونزلنا بعد دخول الدهليز المتحرك إلى قاعة الوصول التي في أولها مكاتب الجوازات وبعدها مكان تسلم الأمتعة، وكنت أول الداخلين لأنني في مقدمة الطائرة ولم يسمح مضيفوها بنزول أحد من ركاب الدرجة السياحية قبلنا.

كان في مكتب الجوازات ضابط أسود اللون وإن لم يكن حالك السواد، بل كان لونه أشبه بلون الرماد، فاستوقفني دون غيري من الركاب الذين كانوا يرفعون أمام عينيه ما يحملونه من جوازات أو بطاقات فيسمح لهم بالدخول

وهم من رعايا فرنسا، وهم الأكثر، أو من رعايا دول الاتحاد الأوروبي وهم الأقل، واستوقف معي زوجين من السود وامرأة بيضاء.

وعندما انتهى الركاب وقد انتهوا بسرعة التفت إليّ يسألني عن المدة التي سأقيمها هنا، وعن الغرض من زيارتي، فقلت المدة ثلاثة أيام، والغرض كما ذكرته في الاستمارة هو السياحة، ثم طلب أن يطلع على تذكرة خروجي من المارتنيك فأريته إياها، وفيها ١٦ تذكرة فطلب مني أن أجلس على كرسي في الداخل، وأخذ يكتب البلدان الموجودة في تذكرتي بخط يده، ولا أدري سبب ذلك لأنه في الأحوال المعتادة يطلع موظف الجوازات على تذكرة العودة للشخص الذي يخشى أن يتخلف في البلاد، وبعد ذلك قال لي: أمعك سمة دخول؛ فقلت له: نعم، إنها هنا وهي لعدة سفرات لمدة تسعة أشهر.

وقد فاته أن يعرف أنه لو كان عندي ما أخفيه لما أعطتني سفارة فرنسا في المملكة سمة دخول (دبلوماسية) عير محددة السفرات كما فاته أن يعرف أن كتابته لخط سير رحلتي من المارتنيك لا تفيده معرفة فيما إذا غيرت التذكرة وقد حدث ذلك بالفعل إذ كانت تذكرتي الأصلية من (المارتنيك) إلى بربادوس ومنها إلى ترينداد ثم كاراكاس، وقد ذهبت من المارتنيك إلى بربادوس وليس إلى ترينداد كما سيأتي.

ومع ذلك نادى شخصاً آخر بالهاتف ربما كان أكبر منه رتبة واطلعه على جوازي، فسألني الضابط الآخر عما إذا كنت أتكلم الفرنسية، فأخبرته أنني لا أعرفها، ولم يكن يعرف الإنكليزية حتى الضابط الأول معرفته بالإنكليزية محدودة.

ثم سألني عن المكان الذي سأقيم فيه، فقلت له صادقاً: إنه أحد الفنادق ولا أعرفها الآن، ويمكنك أن تختار لي واحداً فذكر اسم أحدها، وقال: تستطيع أن تأخذ سيارة أجرة إليه فهو ليس بعيداً من المطار.

وأخيراً أعطاني جوازي بعد أن كان ذهب إلى مكان آخر عرفت فيما بعد أنه صوره واحتفظ بصورته.

ذهبت إلى سيور الأمتعة المتحركة وهي واحد طويل فوجدت من الزحام عليه ما أزعجني بحيث بقيت انتظر مدة طويلة حتى أجد لقدمي موضعاً بينهم، وذلك لكثرتهم.

وكانت الرابطة قد أبرقت لرئيس الجمعية الإسلامية في المارتنيك تخبره بقدومي إليهم وتطلب منهم التعاون معي فيما أريده، وربما كانت هذه البرقية هي التي استرعت انتباه المباحث هنا لوصولي، مع أنني ليس لديَّ ما أخفيه عنهم، لذلك وجدت جماعة كبيرة من الإخوة المسلمين منتظرين قدومي في المطار وهم من بين عربي الوجه واللسان وبين أسمر غريب وهذه أسماؤهم حسبما كتبها لي أحدهم بعد ذلك:

السيد محمد انجيلوين	رئيس المركز الإسلامي الثقافي بالمارتنيك متقاعد
الشيخ محمد امبكى	إمام
السيد محمود منصور	تاجر
السيد أبوبكر ديبلان	ممرض
السيد إبراهيم فيتالياند	مقاول بناء
السيد محمد الشباك	تاجر
السيد منيف سلامة	تاجر
السيد نايف سلامة	تاجر
السيد أحمد منصور	تاجر
السيد عمر رياش	مهندس
السيد يوسف منصور	تاجر
السيد عبدالسلام زواوي	تاجر

تنافس المستقبلون كل منهم أراد أن أركب معه ي سيارته فاتفقوا على أن أركب مع أكبرهم سناً وأكثرهم نشاطاً في عمل الجمعية الإسلامية، وهو الأخ محمود منصور (أبوناصر) هكذا يدعونه، وعندما علم أن كنيتي هي أيضاً (أبوناصر) صار يقول: أنت أبوناصر وأنا أبوناصر.

والأخ (أبوناصر) فلسطيني يعمل في هذه البلاد منذ مدة طويلة في

التجارة، وقد سارت سيارته التي يقودها بنفسه رغم كونه شيخاً وتبعنا موكب من السيارات لا أدري أين يقصدون، ولم أقل لهم بأن يذهبوا بي إلى الفندق لأنني غير تعب، ثم تبين أنه ذاهب إلى بيته حيث دخل إليه يتبعه بقية الموكب من السيارات التي دخل أكثرها داخل البيت، فهو شبيه بالدارة (الفيلا) ذات فناء واسع مفروش بأعشاب ملتفة خضراء موشاة بزهور برتقالية وأرجوانية.

مأدبة عربية:

صعدنا إلى شرفة في الطابق الثاني من البيت فوجدت فيها عدداً من الإخوة المسلمين الفلسطينيين ممن لم يخرجوا لاستقبالي في المطار، وقد دعاهم الأخ (أبوناصر) للعشاء فبادرنا بشراب مثلج من شراب البرتقال كان له وقع حسن لأن الجو كان حاراً رطباً أو هكذا هو بالنسبة إليَّ لأنني لم أعتد على مثله، وقد أحضروا مروحة بددت الرطوبة بعض الشيء.

مأدبة العشاء في منزل الأخ محمود منصور في المارتنيك

وكانت جلسة طيبة تناول الحديث فيها شئون الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، وشئوناً أخرى من الشئون العامة فيها، وكلهم يعرف المنطقة لأنه من المقيمين فيها، وفيهم المهتمون بشئون الجمعية الإسلامية، ومنهم رئيس الجمعية وهو من أهل البلاد الأصلاء، وغيره من العاملين في الجمعية.

وكان الحديث بالعربية التي لا مجال للحديث بغيرها لأن لغتهم المفهومة هنا هي الفرنسية وأنا لا أعرفها.

ثم انتقلنا إلى مائدة الطعام التي أعدتها الأخوات العربيات من أهل البيت فكانت المقدمة حساء (شربة) عربية لذيذة، وفاكهة محلية من إنتاج البلاد من (الأبوكاتو) الذي هو فاكهة استوائية تؤكل بالملح في أول الطعام فتكون بمثابة المقبل والسلطة وتؤكل في آخره فتكون بمثابة الحلوى والفاكهة مجتمعة، ثم جاء الطبق الرئيسي وهو صحن ضخم فيه طعام يكفي خمسين رجلاً مع أنني حسبت الجالسين على المائدة فلم يزد عددهم على ١٥، ولكن هكذا المائدة العربية في كثرتها وسخائها في أي بلد عربي أو فيه عربي حتى في المهاجر.

وعماد المائدة الأرز المخلوط باللوز والمكسرات واللحم، والفاكهة بعد الطعام تفاح مستورد وموز محلي وبرتقال محلي أخضر وهو كبير الحجم كثير الماء إلا أن لونه وطعمه يخالفان طعم البرتقال العربي ولونه.

ثم جاءوا بالقهوة وهي سوداء كثيفة مفعمة بالسكر.

وبعد هذه الجلسة المفيدة على المأدبة الحافلة نقلني أخ جزائري كريم اسمه (عبدالسلام زواوي) وهو شاب ذكي نشط ومعي الشيخ محمد امباكي إمام الجمعية الإسلامية في المارتنيك وهو متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ويتكلم العربية كأهلها ومبعوث من المملكة العربية السعودية لإمامة المسلمين في هذه البلاد حيث تدفع المملكة راتبه.

وأوصلوني إلى فندق كانوا حجزوا لي فيه اسمه (فندق لاباتلييز) وهو

من فنادق الدرجة الأولى ذوات النجوم الخمس، ولا حاجة إلى القول بأنه على الطراز الفرنسي لأنه واقع بالفعل في أرض فرنسية، وإن كان العمال الظاهرون فيه للعيان هم من السود أهل البلاد الأصلاء، وأخبروني أن أجرته في الليلة ١٩٠ دولاراً أمريكياً، وإن هذه أجرة مخفضة لهم لأنهم جمعية خيرية، وقد قيدوا الأجرة عند الفندق على الجمعية، وإلاّ فإن أجرة الغرفة الأساسية هي ٢٤٥ دولار.

ودعت الأخوين الكريمين عبدالسلام الزواوي الجزائري والإمام محمد حبيب الله امباكي السنغالي وتأملت غرفة الفندق فوجدتها واسعة فيها سريران مزدوجان وتلفاز ملون، ومكيفة، ولها شرفة واسعة تفتح على شاطئ البحر المظلم ما عدا أنواراً خافتة من أنوار الشاطئ.

وقد حسبت ما مضى عليَّ من ساعة منذ أن خرجت من بيتي في الرياض قبيل دخول هذا اليوم الخميس حتى دخلت هذه الغرفة في الفندق فإذا به ٢٩ ساعة واليوم هو الخميس التاسع عشر من شهر أكتوبر وذلك أنني منذ أن ركبت الطائرة السعودية وهي تذهب غرباً ثم الفرنسية التي ذهبت جهة الغرب أيضاً والساعة الآن فيْ باريس هي الثالثة صباحاً وفي بلادنا هي الخامسة، ومعنى ذلك أن قومنا يصلون الفجر الآن: فرميت بنفسي على السرير في نومة لم استفق منها إلا عند بزوغ الفجر.

يوم الجمعة: ١٤١٦/٥/٢٦هـ ١٩٩٥/١٠/٢٠م:

صباح المارتنيك:

وصباحها بدأ مع خيوط الفجر الأولى إذ فتحت نافذة الغرفة المطلة على أيسر الشرق فأسفرت عن فجر لم يسفر كله بعد وكان المنظر كله منظر البحر الذي لا علامة فيه ولا يرى فيه إلا ضوء سفينة بعيدة.

واتضح موقع الفندق عندما انتشر النور في هلال أخضر داخل في الأرض وهو هنا البحر الكاريبي المنسوب إلى الكاريب وهم قوم من سكنة هذه البلاد قبل أن تطأها أقدام الأوروبيين، وقد أفنى الأوروبيون أولئك السكان القدماء المسمون بالكاريب من المنطقة كلها التي هي جزائر في هذا البحر الواقع بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية ولم تبق من الكاريب إلا جماعة قليلة اعتصمت بجبال جزيرة دومنيكا المنيعة وبقيت حتى اليوم معتصمة في تلك الجبال وإن كان عهد القتل والإبادة قد ولى.

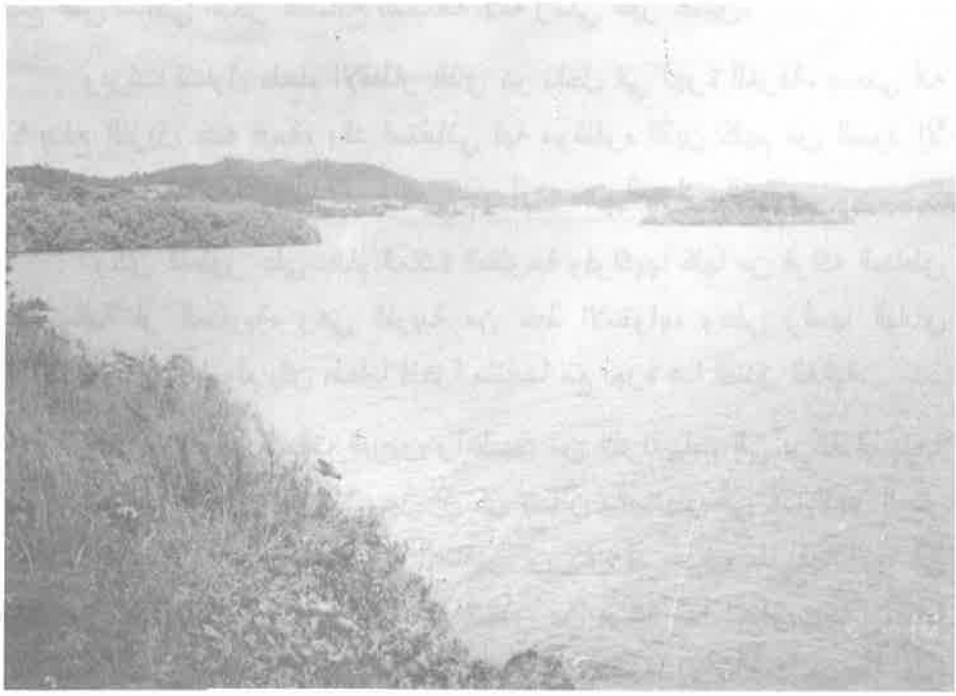

صورة من شاطئ البحر في المارتنيك

وكانت مياه البحر زرقاء صافية هادئة هدوء الحبيب بين يدي حبيبه فذكرت ما ذكره لي مدير مكتب الرابطة في ترينداد عندما سألته عن الجو في منطقة الكاريبي في هذا الوقت فقال لي: ستجد أنها في أوضاع سيئة من الزوابع والعواصف، قال ذلك قبل أن أتوجه إليها، ولم يثن ذلك من عزمي فذهبت إليها وزرتها كلها وهي عشر جزر، سبع منها تؤلف كل واحدة منها دولة وواحدة تحكمها دولتان وهي جزيرة (سان مارتن)، واثنتان تابعتان لأرض فرنسا فما رأيت أهدأ منها في البلدان الهادئة، وقد ذكرت ذلك في الكتب التي ألفتها عن هذه السفرة، وأولها هذا الكتاب.

وقد أشرقت الشمس ولم يتحرك أحد في شاطئ البحر إلا طيور مرحة كانت تقع على فروع النارجيل النحيل التي ترفرف فوقه حمامات أظنها قمريات قد عزفن عن النوح فتراهن يتحركن في صمت عجيب يشبه صمت هذا البحر الآن.

وإلاّ عامل بكّر لتنظيف بركة السباحة النظيفة الملحقة بالفندق مع أنه يقع على شاطئ البحر الصالح للسباحة لأنه رملي غير عميق.

ونزلت لتناول طعام الإفطار الذي هو داخل في أجرة الغرفة، بمعنى أنه لا يدفع النزيل عنه قيمة، وقد استقبلني فيه موظفوه الذين كلهم من السود إلاّ امرأة واحدة خلاسية، والخلاسي هو الذي لونه بين السواد والبياض.

وكان الفطور على نظام المائدة المفتوحة وفواكهها كلها من فواكه المناطق الاستوائية أو المدارية، وهي القريبة من خط الاستواء، وعلى رأسها الباباي والأناناس والموز، ولم يكن طعاماً فاخراً متناسباً مع أجرة هذا الفندق الغالية.

وقد بكرت السائحات البيض وأغلبهن من الفرنسيات إلى بركة السباحة بكور الغراب فتعرين من ملابسهن إن كن يحفلن بالملابس في هذا الجو الحار الرطب، وخلعن ربقة الحياء من أعناقهن إن كان قد عرف طريقها إليها في يوم من الأيام، حتى إنني رأيتهن قد اتخذن من بركة هذا الفندق مكاناً مباحاً لتعرية الصدور بحيث لم تبق الواحدة منهن على نفسها إلا ما يعد خيوطاً على وسطها أكثر مما يعد قماشاً فضلاً عن أن يعد لباساً.

المؤلف مع الإمام محمد امباكي في منطقة جميلة من شاطئ المارتنيك

ورأيت وأنا أتناول طعام الإفطار في شرفة أرضية واقعة على شاطئ البحر طيراً أكبر من العصفور وأصغر من اليمامة غريباً لم أعرفه من قبل، وهو يقع على الشجر بأعداد ليست كبيرة حتى إذا خلا ركن من الآكلين وقع على الموائد أو بينها يبحث عما يلتقطه من فتات ساقط.

ومن الطريف أن أحد نزلاء الفندق أحضر صحنه مليئاً بالطعام ووضعه على المائدة وذهب ليحضر قهوته وليس على المائدة أحد فجاء ذلك الطائر المتطفل ووقع في وسط الصحن برجليه الذين لا يدري المرء أين وقعتا قبل ذلك، وجعل يأكل من الصحن ونحن ننظر، ولم يتبرع أحد من الآكلين على الموائد بانتهاره وإبعاده حتى جاء صاحب المائدة فطار هارباً.

وعندهم عصافير صغيرة مثل عصافيرنا أو أصغر في الحجم و لكنها ذات لون رمادي ولا أدري سبب ذلك إلاّ أن يكون الصباغ الذي صبغ أهل هذه البلاد بالسواد يصبغ حتى الطير، وهذه العصافير ذات أدب جم، إذْ لا تقع إلا على فتات قد رغب عنه الناس أو شيء سقط من الموائد.

جولة في مدينة فور دو فرانس:

ومعنى اسمها (قلعة فرنسا) لأن (فور) قلعة وفرانس: فرنسا، وهي عاصمة جزيرة المارتنيك، وكانت تسمى قديماً (فور رويال) أي القلعة الملكية نسبة إلى الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا، ولكن اسمها غُيِّر منذ قيام الثورة الفرنسية التي لا تعترف بالملكية من اسم القلعة الملكية إلى (قلعة فرنسا).

وتسميتها بالقلعة على اسم قلعة فيها لا تزال باقية منذ ذلك العهد.

فقد انطلقنا من الفندق في الساعة العاشرة والنصف على سيارة لرئيس الجمعية الإسلامية في هذه الجزيرة الأخ محمد غيلوين، وهو الذي يقودها بنفسه، ومعنا في السيارة الأخ الشيخ محمد حبيب الله امباكي إمام المسلمين هنا ويختصرون اسمه إلى (حبيب امباكي) ووجوده مهم للترجمة ما بيني وبين رئيس الجمعية الإسلامية الذي يحسن الفرنسية ولا يحسن غيرها من اللغات العالمية.

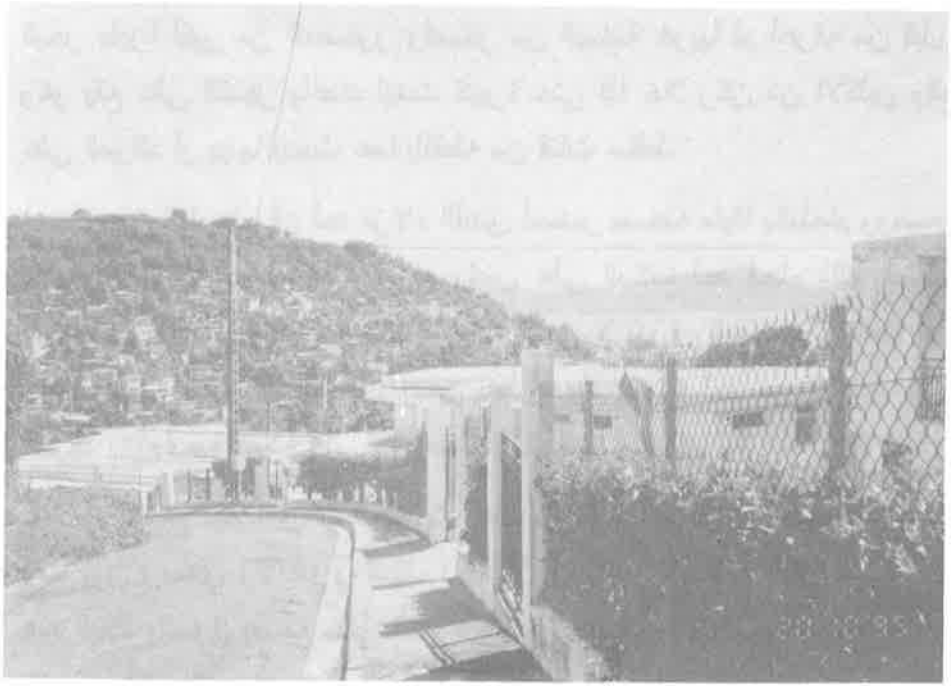

التلة الجميلة فيها البيوت أمام قلعة فرنسا في عاصمة المارتنيك

انطلقنا من فندقنا مع شوارع البلدة الضيقة والتي ليس فيها من العيوب إلا الضيق فهي مسفلتة، ومرصفة ونظيفة وخالية من الكسور والقطوع التي تكون عادة في شوارع مدن العالم النامي الذي يقصد به أنه كان واقفاً عن النمو فبدأ به، أو يراد بذلك أنه ناقص النمو، والغريب أن فيها وهي صغيرة جسوراً على الطريق مما جعلني أتذكر أنها أرض فرنسية ومعلوم أن فرنسا دولة متقدمة في الإدارة، وتعاملها هنا كما تعامل الأراضي الفرنسية الأصلية في كثير من أنواع الإدارة، فهناك مثلاً- الخدمات الوافرة الجيدة، ولكن تصاحبها الضرائب المرتفعة.

واللافت للنظر – أيضاً- كثرة السيارات في هذه الجزيرة التي يفترض أنها قليل الموارد لولا السياحة.

وقد علمت أن الأسعار فيها أغلى من فرنسا ذاتها بكثير على غلاء فرنسا حتى إن الحكومة الفرنسية تزيد رواتب العاملين فيها على العاملين في فرنسا ٤٠%، والعناية فيها ظاهرة في كل شيء من الشوارع إلى الأبنية والحدائق، وقد ساعد طقسها الحار الممطر طول السنة على ذلك.

على شاطئ البحر:

يمكن أن يقال في مثل هذه الجزيرة الصغيرة: إن كل الطرق فيها تؤدي إلى البحر فقد انطلقنا من فندقنا الواقع على شاطئ البحر فلم نكد نسير قليلاً في داخل بلدة (فوردو فرانس) حتى وصلنا الشاطئ الآخر، ذلك بأن الجزيرة ممتدة جهة الغرب.

ومررنا بنهر فيها يسمى (ليواسوا).

قلعة فرنسا:

أمام القلعـــة الفرنسية في فوردوفرانس مع الأخوين رئيس الجمعية الإسلامية و إمامها والمؤلف بينهما

كانت وقفتنا على شاطئ البحر عند ميناء صغير للقوارب تطل عليه ربى ضر ترقشها البيوت البيض الغارقة في الخضرة، وهو الميناء القديم للجزيرة.

وتطل (قلعة فرنسا) الشهيرة التي سميت المدينة باسمها على هذا الميناء الصغير من إحدى الجهات، وبجانبه أسفل القلعة ميدان واسع تزينه أشجار خضر غير ملتفة يسمونه (لا سافان) أي المنبسط، وذلك أن معظم المدينة واقع في تلال وأماكن ضيقة، غير منبسطة وهذا المنبسط أو السهل الضيق خصصوه للاجتماعات المهمة والاحتفالات مع أنه منسق مرتب فيأتي إليه الناس يوقفون

سياراتهم في أطرافه المعدة لذلك، ويسترخون فيه وفي الميناء الصغير المجاور له يستجلون شاطئ البحر الجميل الذي تطل عليه الربى الخضر الجميلة.

كنا نطالع (قلعة فرنسا) من هذا المكان فنجدها واسعة واقعة على تلة مرتفعة إلا أنها ذات أسوار تهبط من التلة حتى الشوارع التي هي أسفل من التلة، ويرفرف عليها العلم الفرنسي، ولا تزال مكاناً مهماً للفرنسيين.

ويتناقلون حقيقة مهمة وهو أنه عندما غزا الألمان النازيون فرنسا من ضمن ما غزوه من أوروبا، نقل الفرنسيون كل الذهب الذي يملكونه في بنك الدولة في سفن وأودعوه مكاناً حصيناً أسفل هذه القلعة التي لا تصل إليها طائرات الألمان ولا سفنهم الحربية، ولذلك حموه بل انقذوه من أن يستولي عليه الألمان.

وقد بالغوا في تحصين هذه القلعة حتى شقوا نفقاً تحت الأرض ينطلق من أسفلها لمسافة خمسة كيلومترات حتى يخرج إلى شاطئ منخفض آخر مبالغة في ابتغاء المنعة لها، وذكروا أن هذا النفق لا يعرف طريقه إلا العسكريون وإن كان غيرهم يسمعون به.

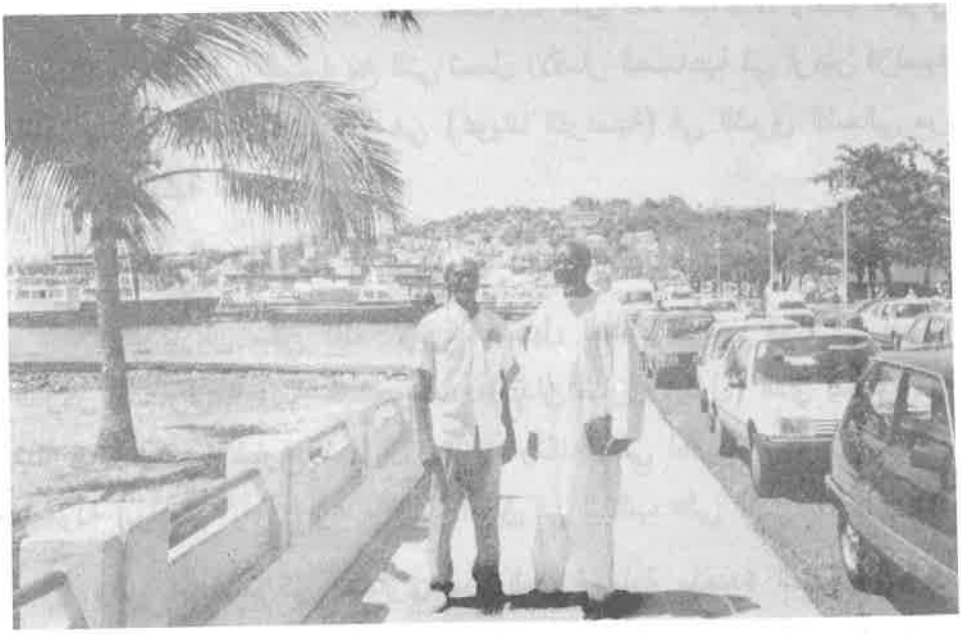

الأخ محمد انجليوين مع الشيخ محمد امباكي عند ميناء القوارب في (فورت دو فرانس)

ورئيس الجمعية الإسلامية المارتينكية الأخ (محمد انجليوين) هو عسكري أمضى مدة طويلة في الجيش الفرنسي في عدة بلدان منها الجزائر وجنوب المحيط الهادئ وجيبوتي حيث تعرف هناك على زوجته فاسلم وتزوجها، والحديث عن قصة إسلامه في مناسبة أخرى إن شاء الله.

وقد كان عمل بعد عمله في الجيش الفرنسي في مصلحة الطرق وتقاعد منها قبل شهر فقط حيث و صل سن التقاعد.

والقلعة ذات حيطان صخرية حتى الأرض الطبيعية في التلة قد بنيت حيطانها بالصخر وهي تتبع الآن البحرية الفرنسية، حيث توجد هنا قاعدة بحرية فرنسية كبيرة على ميناء بحري حربي.

وفي أعلى القلعة مركز للاتصالات تابع للجيش الفرنسي ومن المعروف أنه في ظل تطور المواصلات حتى وصولها إلى الفضاء الخارجي عبر الأقمار الصناعية فإن متابعة ما تبثه هذه الأقمار الأخرى المخالفة أو المنافسة أمر ذو أهمية يحتاج إلى قواعد للاتصالات مثل هذه متباعدة، ولذلك تجري فرنسا تجاربها على الصواريخ التي تحمل الأقمار الصناعية في أرض فرنسية بعيدة ولكنها متحدة مع فرنسا هي (غويانا الفرنسية) في الشرق الشمالي من القارة الأمريكية الجنوبية.

ميدان الجنرال ديقول:

انحدرنا من سفح القلعة وتركنا السهل الضيق فوقعنا فجاة في طرف المركز التجاري للمدينة حيث وصلنا (ميدان شارل ديقول) الذي ينطلق منه شارع مهم اسمه شارع الجنرال ديقول، ولكنه على أهميته ضيق، ومع ذلك يسمونه (بوليفار ديقول) وهذه الكلمة تطلق في الغالب على الشارع الطويل.

وفي هذا المركز التجاري من المدينة أبنية متعددة الطوابق جميلة المنظر، معتنى بها من حيث الطلاء والمظهر الخارجي، بحيث لا تكاد ترى فيها ما يصدم نظرك أو يخدش ذوقك.

والمركز التجاري مثل غيره من أنحاء المدينة واقع في أرض غير مستوية، بل هي تلال وأماكن مرتفعة غير منتظمة الارتفاع وموقعها ضيق، وربما كان هذا من أسباب ضيق شوارعها أو على الأدق عدم السعة في شوارعها.

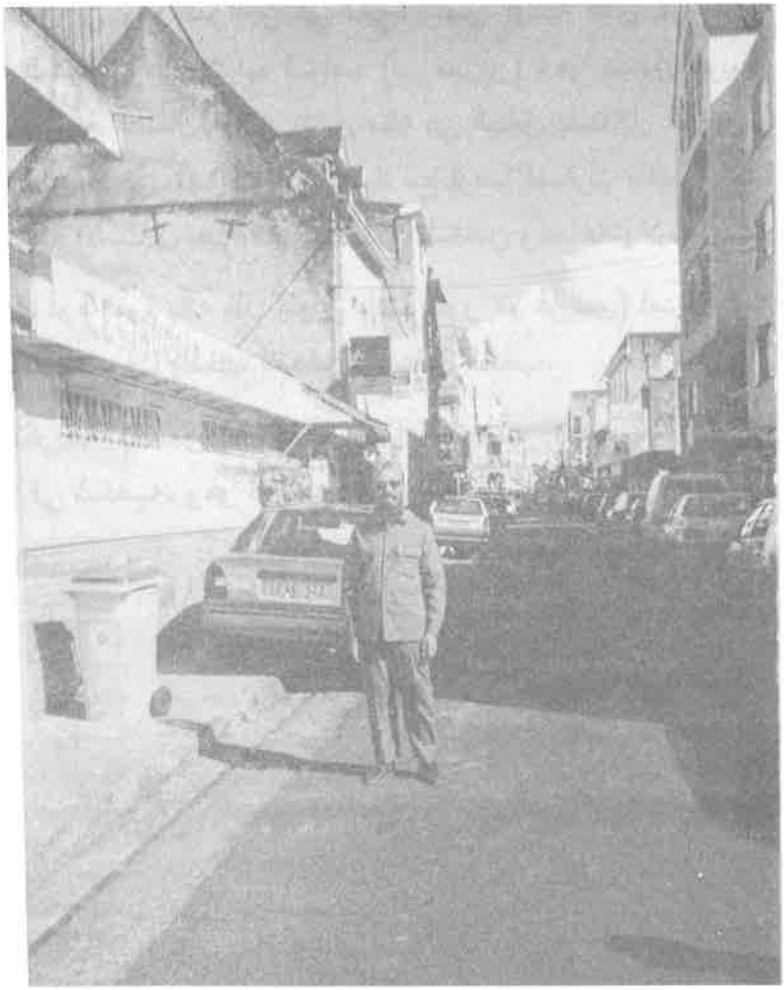

المؤلف في قلب مدينة (فوردو فرانس)

وينبغي أن نذكر أن بلدة (فوردوفرانس) ليست كبيرة، إذْ لا يزيد عدد سكانها عن ١٧٠ ألف نسمة من مجموع سكان جزيرة المارتنيك الذي يبلغ قرابة (٤٠٠) ألف نسمة وآخر إحصاء لهم أثبت أنهم وصلوا ٣٨٠ ألف نسمة.

المؤلف الأديب يحكم المدينة:

مررنا بمقر بلدية (فور دو فرانس) وهو ذو مظهر سري جميل متعدد الطبقات، وإن لم يكن واسع المساحة على الأرض، وذلك لضيق المنطقة كما قدمت، فكان أن وقع المرافقان في سيرة رئيس البلدية الذي هو بمثابة الحاكم المنتخب للمدينة، وهو الأديب المؤلف (أم. سيزير) وهو صديق ليوبولد سنقور رئيس جمهورية السنغال، وكان ينادي مثله في السابق باستقلال الجزيرة غير أن أكثرية السكان قد قررت البقاء في الاتحاد مع فرنسا فصارت بذلك أرضاً فرنسية، وخفت حركة الاستقلال حتى اقتصرت على أشخاص وجماعات لا خطر لهم.

وقد نوه القوم بأنه ظل يتولى بلدية (فور دو فرانس) لمدة ٤٠ سنة كان في كل تلك السنوات ينتخب انتخاباً من عامة الشعب.

وتكريمه باستمرار انتخابه لهذا المنصب المهم هو تكريم للأدب والتأليف في شخصه، وهو أمر عهدناه من الشعوب الواعية.

أرض المسجد:

الأشجار والأعشاب الكثيفة تغمر أرض المسجد الجديد في فوردوفرانس

أسرعنا بالذهاب إلى الأرض التي اشتراها الإخوة المسلمون في هذه البلاد فقرروا إقامة مركز إسلامي عليها يكون أهم ما فيه هو المسجد الجامع الذي سيكون أول مسجد يبنى في هذه الجزيرة على هيئة المسجد.

اخترقنا قبل الوصول إلى أرض المركز وادياً بين جبلين أو تلتين من التلال التي تتألف منها المدينة، وهي تلال خضر لا يبصر المرء ما تحت العشب من أرضها فلا يعرف لون التربة فيها إلا إذا قشرت، ثم وصلنا إلى أرض المسجد على تلة يتدرج انحدارها حتى يصل إلى شارع مهم بجانبها يسمى (بلاتا).

وقد صعدنا بالسيارة مع شارع أسفلتي وهو الذي يمر بالجانب المرتفع من الأرض فأوقفنا السيارة وحاولنا أن نتمشى في الأرض إلا أن الأعشاب المتشابكة والأشجار الوحشية فيها منعتنا من ذلك مع العلم بأن المسلمين سبق أن قطعوا كل ما كان عليها من أشجار، وقلعوا كل ما فيها من أعشاب تمهيداً للبناء عليها.

حدثونا عن ذلك حديثاً مؤثراً، وهو أن المسلمين كانوا يأتون إلى الأرض يوم الأحد فيعملون النهار كله في قطع الحشائش والأعشاب النامية توفيراً لتكلفة ذلك التي هي غالية بسبب ارتفاع أجور العمال في البلاد، قالوا: والذي لا يستطيع أن يحضر للعمل بنفسه يوم الأحد يدفع أجر عامل ليوم واحد، وهذا أمر تواضعوا عليه فيما بينهم.

وقد نصبوا عليها لافتة مكتوباً عليها بالفرنسية (منطقة المارتنيك مدينة فور دو فرانس، المركز الثقافي الإسلامي، رخصة البناء في ١٩٩٥/٧/٤م). وهذا التاريخ هو تاريخ الرخصة.

وتحت هذه العبارة عبارة أخرى بالفرنسية تقول: (المركز الثقافي الإسلامي بالمارتنيك، وانا سرل. و. جي. بي. لويسو).

وهذا هو اسم المحلة التي فيها الأرض، ومكانها مسكون بغير كثافة وإنما توجد البيوت فيه بين الأشجار الوارفة الظلال، ويعرف الحي التي هي فيه بأنه حي الأطباء، وذلك لكثرة عدد الأطباء الذين يسكنون فيه، ويعتبر من الأحياء الراقية.

وقد سألتهم عما إذا كانوا وجدوا معارضة من أي شخص من السكان لوجود المسجد في حيهم، فأجابوا أنهم لم يجابهوا بأية معارضة- مع أن الحي غير مزدحم.

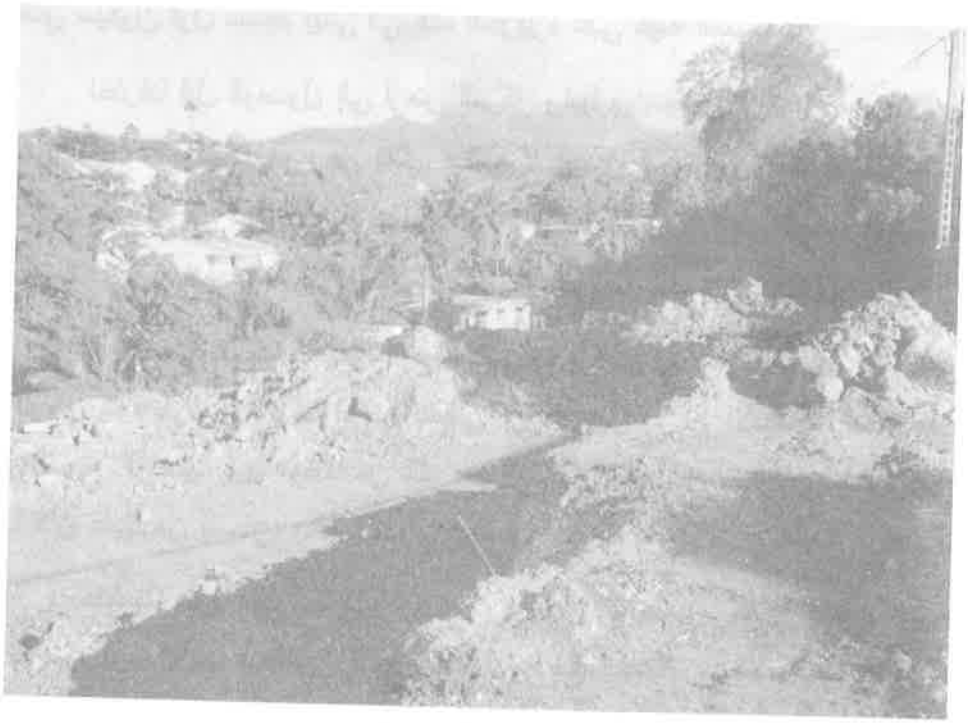

أرض المركز الإسلامي الجديد في المارتنيك

والمعارضة الوحيدة جاءتهم من البلدية نفسها، إذ اعترضت على ارتفاع منارة المسجد وأمرتهم ألا يزيد ارتفاعها على أحد عشر متراً معللة ذلك بأن الحي مرتفع ولكل مكان عندهم من المدينة قدر معين من الارتفاع لا يجوز أن يعلو إلى أكثر منه.

وقد اشتروا الأرض بستمائة ألف فرنك فرنسي، ويساوي ذلك أربعمائة وخمسين ألف ريال سعودي أي حوالي مائة وخمسة عشر ألف دولار أمريكية، اشتروها من شخص يملكها ملكاً خاصاً وليس من البلدية.

ومساحتها ٢٠٤٥ متراً مربعاً، وشارعها الرئيسي كبير مشهور ممتد هو شارع بلاتا كما تقدم، ويذكر هنا أن معنى (بلاتا) الجلد بالسياط أو نحوها، وهناك عبارة شائعة لدى المجندين الجدد هي بلاتا بلاتا أي جلد من لم يقم بالواجب من المجندين.

أما شارعها الآخر فإنه مزفت الآن ولكنه ليس رئيسياً كالأول.

وقال الأخ محمد انجليوين رئيس الجمعية الإسلامية: إن تحتنا أي في الأرض الطبيعية كنيسة سيكون المسجد بقبته ومنارته أعلى منها، وكنا خشينا ألا يوافقوا على ارتفاعه لئلا يكون أعلى من الكنيسة، ولكن الله سلم.

البركان الذي أفنى العاصمة:

ظللنا فترة من الوقت في أرض المسجد ننتظر وصول الأخ المهندس المعماري عمر شريف رياش وهو جزائري يعمل مع إحدى الشركات الكبيرة في البلاد، وقد عهد إليه الإخوة المسلمون عمل الخرائط والمخططات للمسجد، فكنا نستجلي منظر الجبال والربى الخضر التي يطالعك من أي اتجاه إتجه إليه بصرك وأنت في أرض المسجد، بل إن البحر أيضاً يرى على البعد رغم كون الأرض بعيدة عن الشاطئ.

واسترعى انتباهي أحد الجبال الخضر العالية، فقال رئيس الجمعية الإسلامية الأخ محمد انجليوين إن هذا الجبل كان قد ثار فيه بركان دمر عاصمة الجزيرة وذلك في عام ١٩٠٢م، واسمها (سان بيير) وقتل أهلها عن بكرة أبيهم، ولم يسلم منهم إلا شخص واحد كان مسجوناً في سجن في أطرافها منعت أسوار السجن القوية عنه الحمم التي وصلتها.

وقد تحدث الناس ولا يزالون عن هذا الرجل الذي كان سجنه سبباً لسلامته من الموت، وقد سمعت ذلك من أكثر من متحدث في الجزيرة ومنهم إخوة لنا من العرب المسلمين.

قالوا: كان يبلغ عدد سكان العاصمة التي قتلها البركان قرابة ٣٠ ألف نسمة.

والتقطت صورة للجبل الثائر الذي كانت قد هدأت ثورته التي مضت عليها الآن ٩٣ سنة غير أنه لا يؤمن هياجه حتى الآن ولذلك تراقبه الحكومة، وتحسب حساباً لما كان يخرج منه في بعض الأحيان من دخان خفيف.

وقالوا بهذه المناسبة: إن الزلازل هنا خفيفة ولا يذكرون أنهم شعروا بزلزال منها رغم كثرتها عدداً إلا بواحد في عام ١٩٧١م.

ولاحظت كثرة الأشجار النضرة قرب أرض المسجد وضخامتها حتى إن واحدة منها كبيرة إلى درجة أنه يمكن أن تستظل بظلها خمسون سيارة في آن واحد فيسعها، ويسمونها (قلي تزيليا) يصنع المواطنون من أوراقها شراباً يشربونه كما يشربون الشاي للاستشفاء من الحمى.

صـــورة مـــع الإمام محمد امباكي فـــي أرض المسجد الجديد في فوردوفرانس بعد قطع بعض الأشجار منها

وتقع هذه الشجرة الضخمة على الشارع غير الرئيسي الذي يقع عليه المسجد.

والمراد بالمواطنين هنا الأفارقة القدماء الذين كان المستعمرون قد جلبوهم عبيداً أرقاء لهذه المنطقة، من أجل القيام بالأعمال الشاقة فيها التي لا يستطيع البيض أو لا يريدون القيام بها.

وأما أهل البلاد الأصلاء ممن يسمون الهنود وهم الذين كانوا يعيشون فيها قبل وصول الأوروبيين فإنه لا يوجد منهم أحد محتفظ بنقاء أصله، بل لا يوجد منهم من ينتمي إلى أولئك الهنود إلا إذا كان قادماً من خارج الجزيرة، فقد نقلهم الأسبان خارجاً، وبعضهم فروا من الاضطهاد أو من القتل في بعض الحالات.

ولا تزال آثار الهنود الأمريكيين المذكورين تكتشف في باطن الأرض وإن لم تكن على هيئة منشآت عمرانية فقد جرف سيل عرم منطقة صخرية في (المارتنيك) قبل شهر فكشف عن قبور للأرواك من الهنود الأمريكيين تدل على استيطانهم في هذه الجزيرة، قالوا: من الغريب أنهم وجدوا أن الميت في هذه القبور يدفن على جنبه كما يصنع بالميت المسلم.

وقال رئيس الجمعية الإسلامية الأخ محمد انجليوين لقد كانت الحكومة قبل ٥٠ سنة تعمل على تهيئة المطار وتحفر في أرض بجانبه فعثر الحفارون على قبور للهنود فيها ذهب كثير.

وهذا ينسجم مع ما هو معروف عن هنود الانديز وخاصة في كولومبيا من كونهم يدفنون مقادير كبيرة من الذهب مع موتاهم مما استدعى حكومة كولومبيا إلى إنشاء متحف خاص بالذهب الذي وجد في قبور الهنود، وهو على هيئات وأشكال مختلفة، وقد زرت ذلك المتحف وذكرت ما شاهدته فيه في كتاب: (رحلات في أمريكا الوسطى) عند الكلام على مدينة بوغوتا عاصمة جمهورية كولومبيا.

اسم الجزيرة قبل وصول الأوروبيين:

جرى الحديث مع أحاديث أخر عن هذه الجزيرة قبل أن يصل المستكشفون الأوروبيون، فقال الأخ محمد انجليوين رئيس الجمعية الإسلامية وهو من أهل البلاد الأصلاء الذين سكنوها قبل أربعمائة سنة فيما يظهر وليس هو ولا آباؤه من المهاجرين الجدد إليها: إن هذه الجزيرة كان اسمها عند سكانها الذين كانوا موجودين فيها قبل أن يصلها الأوروبيون (مادينيا) قال:

وهذا يحمل على التساؤل عما إذا كان لهذا الاسم علاقة باسم (المدينة المنورة) فيدل ذلك على أنه اسم إسلامي إذا كانت التسمية من ذلك أو إنه يدل على أن أهلها الذين سموها لهم معرفة باللغة العربية، إذا كانت التسمية مستوحاة من اسم المدينة بمعنى البلدة.

منظر طبيعي من ريف المارتنيك

إن هذا القول هو من أقوال عديدة يكاد بعضها يجزم بأن العرب المسلمين قد وصلوا إلى العالم الجديد قبل كولومبس، وبعضها لا يجزم بذلك، ولكنه يخمن ونحن لا نشك في أنه كانت هناك محاولات لاجتياز المحيط الأطلسي ومعرفة نهايته، وقد سجل التاريخ المكتوب بالعربية حالات عديدة في هذا الشأن، ذكرت أحدها فيما سبق وهي لقوم من قومنا في الأندلس.

ولكن التاريخ ذكر أنهم عجزوا عن اجتياز المحيط وأرجعتهم الريح إلى جزائر

الخالدات التي تسمى الآن بجزر الكناريا، وإذا كان القارئ الكريم يرغب في معرفة شيء من واقع الجزر المذكورة فإنه يمكنه أن يقرأ ما كتبته عن زيارة لها في كتاب: (جولة في جزائر المحيط الأطلسي) كما قال صاحب كتاب (الروض المعطار) وهو يتكلم على مدينة لشبونة التي هي الآن عاصمة البرتغال ولكنها سماها (اشبونه) كما هي عادة بعض البلدانيين المؤرخين العرب في تسميتها (اشبونة):

اشبونه: بالأندلس من كور باجة المختلطة بها، وهي مدينة على طريق العساكر فإنّ الطريق من باجة إلى الأشبونة يعترض مدينة الأشبونة، والأشبونة بغربي باجه، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشأن، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضاً يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولاً ماءٍ يصبّان في البحر، ولها باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مدّه وترتفع في سوره ثلاث قيم، وبابٌ شرقيّ يُعْرف بباب الحمة، والحمة على مقربة منه ومن البحر بمائين: ماء حارّ وماء بارد، فإذا مدَّ البحر واراهما، وبابٌ شرقي أيضاً يعرف بباب المقبرة.

والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة، والاشبونة على نحر البحر المظلم، وعلى ضفة البحر من جنوبه قبالة مدينة الاشبونة حصن المعدن ويسمى بذلك لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك، فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء، وهو من عجائب الأرض.

ومن مدينة الأشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم بأشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغّررين، وذلك أن ثمانية رجال كلهم أبناء عمّ اجتمعوا فابتنوا مركباً وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحواً من أحد عشر يوماً، فوصلوا

إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف فردوا قلعهم في اليد الأخرى وجروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوماً، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عدّ ولا تحصيل، وهي سارحة لا ناظر لها ولا راعي، فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جارية عليها شجرة تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرّةً لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوماً، إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان إلاّ غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها في دار فرأوا بها رجالاً شقراً زعراً شعورهم سبطة وهم طوال القدود، لنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي، فسألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلادهم، فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيراً وأعلمهم أنه ترجمان، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك فسألهم عمّا سألهم عنه الترجمان.

فأخبروه بما أخبر به الترجمان بالأمس وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من العجائب وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده يركبون هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدي، ثم وعدهم خيراً وصرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورقاً وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر، قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جاء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة، فحلّوا وثاقنا وسألونا .فأخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون

كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا: لا، فقال: مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفي، فسمي المكان إلى اليوم أسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب.

والمحاولة المهمة التي لم يذكر التاريخ العربي أنها فشلت وأن القائمين بها رجعوا من رحلتهم من المحيط كانت رحلة أحد ملوك مالي قد سافر بنفسه على رأس أسطول من السفن ليختبر طول هذا البحر المحيط وليعرف ما وراءه فلم يرجع ولا رجع أحد ممن كانوا معه.

كما قال ابن بطوطة، ونحن نفترض أن ذلك الملك المالي قد وصل إلى إحدى جزر البحر الكاريبي كما وصل كريستوفر كولومبس إليها بعده بثلاثة قرون أو نحوها ولكنه ليس من القوة بحيث يستطيع أن يهيئ له أو لمن كانوا معه أو حتى بعض من كانوا معه إذا افترضنا أن بعض الذين معه قد غرقوا في البحر- وهذا مجرد افتراض- وسيلة للرجوع إلى بلادهم، وإخبار الناس عما حدث له ولاتباعه.

فمن الجائز أنهم وصلوا إلى هناك وأقاموا فيها وهي بلاد حارة رطبة تقع غير بعيدة من خط الاستواء وهذه المنطقة يشابه جوها ويقارب للجو السائد في مالي الذي يصبغ الأجساد بالسواد، لذلك نفترض أن أولئك القوم بقوا هناك واختلطوا بالسكان الأصلاء الذين يسمون الهنود الأمريكيين وذابوا فيهم لقلتهم بالنسبة إلى أهل البلاد.

ومن الجائز في هذه الحالة أن يسموا هذه الجزيرة (مادينيا) على اسم المدينة المنورة أو على اسم أية بلدة يصح أن تسمى بالمدينة.

على أن هذا قول لا يمكن الجزم به إلا بعد دراسات مستفيضة لهذه الكلمة في لغة القوم الذين سموا بها الجزيرة، إذا كان من الممكن معرفة لغتهم لئلا تكون من تلك اللغة لا علاقة لها بالعربية.

لقد كان وصول كريستوفر كولومبس ومن معه من الأوروبيين وحتى

العرب المسلمين الذين كانوا تابعين له مؤتمرين بأمره نذير شؤم بالنسبة إلى السكان الأصلاء، إذ أجلوهم عن ديارهم ثم قتلوا منهم من قتلوا حتى لجأوا إلى الأماكن المنعزلة الموحشة، ومع ذلك لاحقهم الأوروبيون بما يدعون أنه التعمير والبحث عن الثروات التي لم يجدوها أو لم يستطيعوا الحصول عليها في العالم القديم، حتى أفنوا أو كادوا يفنون شعب الكاريب الذي نسب هذا البحر إليه.

قلنا: إن مع كريستوفر كولومبس بعض العرب المسلمين في رحلته إلى العالم الجديد، وهذا صحيح ثابت علمياً أثبته الأسبان وغيرهم من الأوروبيين ولكن الذين معه كانوا قلة في العدد، ولم يكونوا قد عرفوا الاستكشاف، وإنما اصطحبهم كريستوفر كولومبس لكونه لم يجد في الأوروبيين في ذلك الوقت علماء وخبراء في الفلك والحساب والطب فأخذهم معهم لهذا الغرض حيث خدموا الرحلة بخبراتهم وعلومهم.

وهذا ما حدا ببعض المبالغين والمحبين للفخر حتى بغير الصحيح أن يقولوا: إن العرب المسلمين الذين كانوا مع كريستوفر كولومبس قد أنشأوا مجتمعات إسلامية في العالم الجديد، وذلك بدعوة السكان الأصلاء في البلاد إلى الإسلام، وتكوين شعب مسلم معادٍ للأوروبيين المسيحيين هناك وإن ملك أسبانيا عندما شعر بخطرهم أمر بقتلهم وقتل كل مسلم منهم، فقتلوا جميعاً وحصلت بذلك مذابح وبخاصةٍ في جزيرة (هسبنيولا) التي فيها الآن دولتان هما دولة (هاييتي) ودولة (الدومينكان) التي عاصمتها (سانتودومنقو) وسوف أزورها في نهاية هذه الجولة في منطقة الكاريبي بإذن الله.

وعود إلى مسألة تسمية الجزيرة بهذا الاسم ذي الصفة العربية (مادينيا) لننقل ما يراه الأخ محمد انجليوين رئيس الجمعية الإسلامية في المارتنيك في هذا الموضوع فهو يقول: إنه من المحتمل أن هذه التسمية صاحبت وصول أول رحلة لكريستوفر كولومبس إلى جزر الكاريبي أو ثانية رحلاته، لأنه كان معه بعض العرب المسلمين الذين من الجائز أن يكونوا سبقوا غيرهم من أهل العالم القديم في سكنى الجزيرة وأنهم هم الذين سموها مدينة على اسم المدينة المنورة، أو(المدينية) بصيغة النسبة إلى المدينة فظن الناس أن هذه التسمية كانت قبل وصول كولومبس.

ولما ذكرناه من المساوي لوصول كولومبس ومن معه من الأوروبيين إلى هذه المنطقة من البحر الكاريبي ومن المآسي التي حصلت للشعب الأصيل فيها في أثناء احتفال العالم قبل فترة قصيرة بمرور خمسمائة عام على اكتشاف العالم الجديد أجريت قبل شهرين محاكمة رمزية لكريستوفر كولومبس على الجرائم التي ارتكبها ومن معه بحق السكان الأصلاء، أو سببها من جاءوا بعده لهم، وأن هذه المحاكمة أدانته، وحكمت عليه بغرامة مالية رمزية قدرها فرنك فرنسي واحد!

المركز الثقافي الإسلامي:

حصل الإخوة المسلمون على رخصة البناء للمسجد باسم (المركز الإسلامي الثقافي) وليس باسم المسجد فقط لأنه ستكون فيه منشآت عديدة يؤلف المسجد أحدها.

المركز الإسلامي وفيه المسجد في فوردو فرانس في المارتنيك

وهو أيضاً على اسم (المركز الثقافي الإسلامي) القائم حالياً في الجزيرة، وهو الذي نذهب لزيارته الآن، لأداء صلاة الجمعة.

فقد انحدرنا من التلة التي تقع عليها أرض المسجد مع طريق تطل عليه الربى الجميلة من كل جهة وهي ربى مجللة بالخضرة النضرة وتتناثر فيها المنازل الجميلة النظيفة في غير كثافة.

وأكثر تلك البيوت إن لم تكن كلها نظيف المظهر، براق الطلاء، فالسلطة المحلية في الجزيرة لا تتساهل مع من يهملون بيوتهم ولا يعتنون بمظهرها من حيث النظافة والطلاء، لأن ذلك جزء من الذوق العام أو المظهر الذي يجب أن تكون عليه البلاد، لا يجوز في تقديرها أن يترك أمره للناس.

ومن ذلك أنهم لا يتركون لمن يريد أن يسير بسيارته وهي سيئة المظهر نتيجة لحادث لم يصلح ما أحدثه فيها على سبيل المثال، إذ يلزمونه بأن تكون سيارته في حالة لا تصدم الذوق العام بسوء مظهرها، وهذا هو الموجود أو ما يقرب منه في فرنسا نفسها.

ولاحظت أن شوارع المدينة الداخلية كلها ذات أسفلت جيد وأرصفته كاملة مصونة، أي قد تعهدها القائمون عليها بالصيانة والترميم.

وأكثر الشوارع تكون أوساطها مرتفعة عن جانبيها حتى تنزلق عنها مياه الأمطار في هذه البلاد المطيرة إلى الجانبين فتذهب إلى البحر أو النهر الذي يذهب إلى البحر.

ولم أر في شوارعها التي رأيتها حتى الآن شارعاً مهملاً، وذكرت آخر رحلة قمت بها إلى الخارج قبل شهرين وهي جولة في جنوب جمهورية روسيا، حيث رأيت فيها الأمور على عكس ما هي عليه في هذه البلاد، فهي مهملة وكثير من شوارع مدنه ليس لها أرصفة من قبل فزادها الإهمال سوءاً، وقد ذكرت ذلك مفصلاً في الكتب الأربعة التي كتبتها عن تلك الرحلة، وأولها كتاب (جمهوريات القبائل) وآخرها: (بلاد العربية الضائعة: جورجيا).

ومررنا بمحلين من محلات بيع الخضرات الطازجة فيها سيارات تبيع

الخضرات التي وردت من المزارع في ظهور السيارات، وفيها خضرات معروضة على الأرض على هيئة ما تسميه العامة عندنا بالبسطات.

المصلون في جامع المارتنيك ينصتون إلى كلام المؤلف بعد صلاة الجمعة

ثم وصلنا مركز المدينة التجاري وهو حافل بالتجار العرب من فلسطين ولبنان وأكثر اللبنانيين التجار هنا هم من المسيحيين بخلاف الفلسطينيين فأكثرهم من المسلمين.

ويتألف الوسط التجاري من حوانيت متلاصقة، حافلة بالبضائع فاقتصاد هذه البلاد جزء من اقتصاد فرنسا التي تضخ فيها مقادير ضخمة من المال إضافة إلى مواردها المحلية الخاصة.

ثم وصلنا (المركز الثقافي الإسلامي) وعليه اللافتة باللغة العربية وهذا نصها: (المركز الثقافي الإسلامي- مسجد مدرسة إسلامية).

ويسار هذه العبارة العربية بالفرنسية في اللوحة نفسها.

جمعة المارتنيك:

صعدنا إلى المركز الثقافي الإسلامي مع درج طويل فهو واقع في الطابق الثاني وتحته أناس ساكنون لأنه مستأجر يشغل المركز منه طابقين الأول من المبنى فيه المسجد فوقه فيه المدرسة الإسلامية.

دخلنا إليه فوجدنا الإخوة المسلمين يتقاطرون على المسجد وفيه أناس وصلوا قبلنا بفترة فصار بعضهم يتلو القرآن وبعضهم يتحدث إلى إخوانه المسلمين في أمور إسلامية.

تبادلت الحديث مع بعض الإخوة الحاضرين للصلاة وذلك لكون الإمام لم يدخل للخطبة بعد، وكان مرافقيّ عند قدومي إلى المسجد الذي يصرون على تسميته بالمركز الإسلامي لكونه ليس على هيئة المسجد، وليس مبناه خالصاً للمسجد، ولم يؤسس ليكون كذلك، فكان ممن تحدثت إليهم الأخ (باسم بن محمد العطية) وهو عربي مولود في هذه الجزيرة وكان أول من جاء منهم إليها جده، أما والده فقد أمضى فيها أكثر من ٤٥ سنة وهو أي الأخ باسم يتكلم العربية بصعوبة، ثم انضم إلينا أخوه زياد بن محمد العطية، وهو مثله مولود في هذه البلاد ولم يكن يعرف العربية فيها جيداً، وإنما ذهب إلى المدينة المنورة فدرس فيها العربية لبعض الوقت ثم عاد إلى هذه البلاد لكونه يريد الزواج، وعربيته أحسن من أخيه.

ومع ذلك فقد بكر هذان الأخوان إلى المسجد الجامع لأداء صلاة الجمعة فيه.

وكان عدد الحاضرين من الإخوة ذوي الأصول الإفريقية أكثر من ذوي الأصول العربية مع أن الوجود العربي ظاهر.

ومعظم السود الذين جاءوا إلى صلاة الجمعة ممن أسلموا حديثاً سواء منهم من كان إسلامهم في الولايات المتحدة الأمريكية ومن كانوا أسلموا في هذه البلاد، والذين قدماء عهد بالإسلام هم الذين هاجروا إليها من باريس أو من بعض المستعمرات الفرنسية السابقة.

وقد امتلأ المركز بالإخوة المصلين حتى لم يبق فيه موضع قدم وكان ٦٠% منهم من السود و١٠% من الخلاسيين وهم ذوو اللون الذي هو بين الأسود والأبيض، و٣٠% منهم من العرب، وقد اجتمع قولهم على انهم يريدون المزيد من الدعاة القادرين على مخاطبة الناس باللغة التي يفهمونها لأنه إذا حصل ذلك فإن المظنون أن يهتدي عدد كبير من الناس إلى الإسلام، لأن لديهم قبولاً فطرياً له غير أنه- كما قالوا- لا يوجد دعاة متفرغون مؤهلون لديهم الإمكانات للدعوة سواء بالقول أو بالفعل أو بالكتاب أو بالكتابة في الصحف.

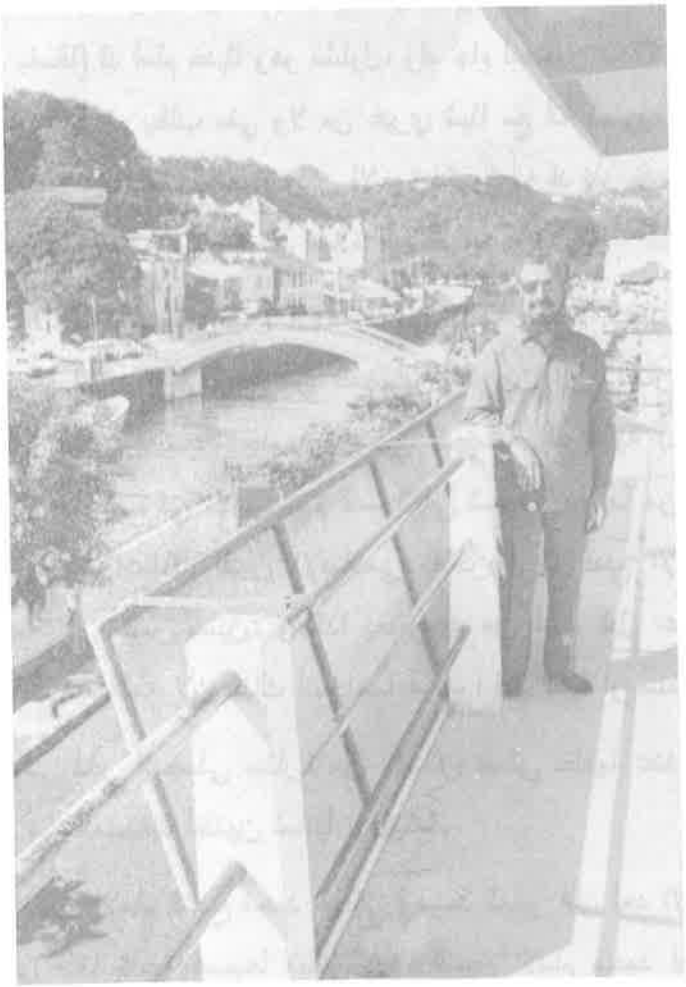

المؤلف في شرفة المركز على ضفة النهر الذي يجري من تحت مسجد المارتنيك

وأكثر الذين صلوا من العرب هنا هم من فلسطين وفيهم من غيرها فعلى سبيل المثال صلى معنا أحد الإخوة التونسيين واسمه (رضوان الإمام) وذكر أن البلاد تحتاج إلى تفسير معاني القرآن بالفرنسية، وذكر أن عدد التونسيين في المارتنيك قليل لا يزيد على (١٠) أشخاص صلى معنا منهم ثلاثة، قال الآخرون بعضهم يسكن بعيداً عن المركز وبعضهم لديه بعض الموانع من عمل أو غيره، كذا قال.

ومن الأشياء المؤثرة أن أحد الإخوة من المواطنين الأصلاء في هذه البلاد واسمه (أحمد باسافا) قد أسلم حديثاً وهو مشلول، وقد جاء لحضور صلاة الجمعة، وهو كذلك وقد سلم عليَّ ولم يطلب مني ولا من غيري شيئاً مع أنه معذور فيما لو طلب ذلك، لأنه ذو علة تمنعه من الكسب، ولكن الإخوة ذكروا أنه قد نذر نفسه للدعوة إلى الله بقدر ما يستطيع، وأنه لا يتخلف عن صلاة الجمعة.

وقال الإخوة ومنهم رئيس الجمعية الإسلامية محمد انجليوين وإمامها الشيخ محمد امباكي: إن ٨٠% من المصلين هم من أهل المارتنيك ومنهم بعض العرب الذين اكتسبوا جنسيتها وهي الجنسية الفرنسية بحكم الإقامة والعمل، ومن الطريف في الأمر أنهم قدموا إليَّ شخصاً مسلماً من أهل البلاد فسألت عن تاريخ اعتناقه الدين الإسلامي: فذكروا أنه قديم الإسلام يرقى تاريخ إسلامه إلى عشر سنين: وهكذا يعتبرون من أسلم قبل عشر سنوات مسلماً عريقاً في إسلامه لأن هناك أشخاصاً أسلموا قبل سنة أو سنتين.

هذا وفي أخر المصلى ستارة من القماش صلى خلفها عدد من النساء قليل أغلبهن من المسنات أظنهن ثمانياً أو تسعاً.

عندما دخل الإمام الشيخ محمد امباكي وصعد المنبر أذن أحد الإخوة العرب وهو جزائري أذاناً شجياً فصيحاً نهض بعده الشيخ الإمام محمد امباكي فألقى خطبته بالعربية أعقبها ما يشبه التفسير لها باللغة الفرنسية وهو يجيد اللغتين إجادة

تامة، وكذلك الخطبة الثانية بدأها بالعربية وثنى على ذلك بالفرنسية.

وقد تضمنت خطبته الحث على العمل الصالح والتذكير بما يجب أن يكون عليه المسلم من الإخلاص في العمل والصدق في القصد، كما تضمنت التذكير بنعم الله تعالى على العبد ووجوب شكرها وهي خطبة جيدة بليغة استشهد فيها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وبعد انتهاء الصلاة أعلن للحاضرين عن وجودي وأخبرهم أنني سألقي فيهم كلمة، فنهضت واقفاً وألقيت كلمة بالعربية لأنني لا أحسن الفرنسية اللغة الشائعة في البلاد ولكون طائفة من المسلمين الحاضرين هم من العرب.

وقد ترجمها جملة جملة الشيخ الإمام امباكي إلى الفرنسية.

وقد كانت مطولة لأن الحال يقتضي ذلك فهذه أول مرة يصل فيها إليهم مسئول من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وحتى العرب الذين يصلون إليهم من الأقطار العربية على وجه الإجمال هم قليل.

تضمنت كلمتي أول ما تضمنته الحمدلله والشكر له الذي قدر هذا الاجتماع المبارك بالإخوة المسلمين في بيت من بيوت الله وأبلغتهم تحيات إخوتهم المسلمين في رابطة العالم الإسلامي وفي الحرمين الشريفين ثم شرحت لهم كون الإسلام ديناً سماوياً عالمياً ليس خاصاً بجنس دون جنس من الناس، فلا هو دين العرب وحدهم، وإنما شرف الله العرب بحملهم الدين الإسلامي إلى الناس، وكان في السابقين الأولين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي وصهيب الرومي، وبلال الحبشي الذي كان عبداً مملوكاً، ولكن الإسلام رفعه إلى مرتبة السيادة الإسلامية حتى قال عمر بن الخطاب: أبوبكر سيدنا واعتق سيدنا، يريد أنه أعتق بلال بن رباح من الرق.

المؤلف يتكلم في المسجد في عاصمة المارتنيك
بعد صلاة الجمعة والمصلون يصغون إليه

وفي عكس ذلك كان أبولهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بحبوحة الشرف من النسب في قومه ومع ذلك لم ينفعه قرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما لم يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، بل أنزل الله تعالى في ذمه سورة تتلى إلى يوم القيامة (تبت يدا أبي لهب، وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب) ولم يذكر القرآن الكريم شخصاً ممن عادى الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش ولا من غيرهم باسمه إلا أبا لهب.

وهذا والله أعلم له معنى عظيم وهو أن يعرف الناس على مدى القرون أن القرب في النسب أو الموطن من النبي أو الولي أو المصلح الإسلامي لا ينفع المرء إذا لم يكن ذا عمل صالح، فالعمل الصالح هو الذي يقرب المرء إلى الله لا النسب ولا القرابة الأخرى من الزعيم المسلم، ذلك بأن الإسلام يرتب الجزاء والثواب على العمل لا على المظهر من لون أو ملبس أو نحو ذك، كما في الحديث: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وفي رواية وألوانكم وإنما ينظر

إلى قلوبكم وأعمالكم.. ذلك بأن الجسد خلق من التراب وتغذى بما أخرجه التراب من الغذاء ويؤول إلى التراب، وأما العمل الصالح الذي على رأسه الإيمان بالله وتصديق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل به في السر والعلن فإنه أمر روحي نزل من السماء وهو الذي يبقى للمرء بعد مماته.

وقلت: الدليل على أن الإسلام دين سماوي عالمي أننا نرى الدعاة إليه في أوطان بعيدة عن البلدان العربية، بل في قارات بعيدة ونرى الذين يقومون بالدعوة إليه من الإخوة المسلمين من غير العرب حملهم على ذلك محبتهم لهذا الدين وفهمهم لعالميته وإنسانيته وإنه دين إلهي سماوي، والأرض كلها لله، قال تعالى: **﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾**.

وقلت: نأخذ دليلاً آخر من هذا الذي يجري الآن بالنسبة إلى الدعوة الإسلامية وكثرة المهتدين إلى الإسلام في الأقطار البعيدة، وهو الرد على الذين حاولوا تشويه سمعة الإسلام بقولهم: إنه انتشر بالسيف، فنحن نرى الآن أن الإسلام ينتشر بين الأوروبيين والأمريكيين كما ينتشر بين الإفريقيين بدون أن يكون هناك سيف إسلامي، ذلك بأن المسلمين أو لنقل المنتسبين إلى الإسلام قد بلغوا حداً من الضعف في بلادهم جعلهم يستهدفون بسيف الآخرين من دون أن يستهدف الإسلام لسيفهم.

ثم إننا نرى الآن أمراً عجيباً وهو أن طائفة واسعة من المثقفين والمتعلمين تعليماً عالياً يدخلون في الإسلام عن اقتناع ودراسة، وليس الداخلون فيه كما حاول بعض الجاحدين لفضله ممن يسمون البدائيين أو غير المثقفين.

بل إننا نرى الإسلام يفتح في هذه الإعصار بسيف الحجة والاقتناع بلاداً لا يمكن للمسلمين حتى لو كانوا ذوي سيوف طويلة أن يفتحوها بسيوفهم لبعدها عن بلادهم ومن ذلك بلاد في منطقة المحيط الهادئ الجنوبي مثل مملكة تونقا وجزيرة ساموا وغيرهما من البلاد في تلك المنطقة التي دخلها الإسلام حديثاً ولم يكن دخلها قبل ذلك.

وبالنسبة لانتشار الإسلام في أوروبا فإنني يكفيني أن أذكر لكم على سبيل الاستشهاد أن حياً واحداً في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا لم يكن فيه أي مسجد قبل عام ١٩٧٤م قد صار الآن فيه ثمانية عشر مسجداً وهو حيّ واحد.

ثم حدثتهم عن الغرض من مجيئي إلى هذه البلاد، وقلت لهم: إن ذلك جزء من جولة مقرر أن أقوم بها لمنطقة الكاريبي سوف تشتمل على زيارة عشر مناطق فيها، سبع منها دول مستقلة، وإن القصد منها هو الاتصال بالإخوة المسلمين والمسئولين عن الدعوة الإسلامية خاصة، وذلك من أجل الاطلاع على أحوالهم وما يصادفهم من مشكلات في سبيل الدعوة إلى الله، ورسم كيفية التعاون على البر والتقوى فيما بينهم وبين رابطة العالم الإسلامي في المستقبل.

وقد ختمت كلمتي بالدعاء أن ييسر الله الاجتماع بهم مرة ثانية في هذه البلاد وفي بلاد الحرمين الشريفين عندما نراهم حجاجاً ومعتمرين أو زواراً، وقد بكى اثنان منهم عندما استمعوا إلى هذا الدعاء لأن الأخ الإمام الشيخ امباكي ترجم لهم معنى الدعاء.

هذا وقد لاحظت أن المصلى قد امتلأ بالمصلين تماماً حتى لم يبق فيه مكان لمصلٍ واحد زيادة على من حضروا، وقلت في نفسي: ماذا لو حضر زيادة عنهم، ولاحظت أن بعضهم حضر بعد الصلاة فصلاها ظهراً.

تمرات أم ناصر:

بينما كنت ألقي كلمتي كان الجميع قد بقوا في المسجد لم يخرج منهم أحد، ورأيت رئيس الجمعية الإسلامية معه صندوق صغير مغلق كحصالة النقود يمر به بين الصفوف يضع فيه من يريد من المصلين ما يشاء من التبرع، وهذه هي عادتهم في جمع الأجرة الشهرية لمبنى المركز الإسلامي التي تبلغ ٨٠٠ دولار أمريكي، إلى جانب المصروفات اليومية المتكررة من الماء والكهرباء ونحو ذلك، ورأيت الإخوة يسارعون إلى وضع شيء في ثقب الصندوق لا أدري مقداره.

وبعد أن فرغ من ذلك أحضر تمراً كنت أعطيته إياه في هذا الصباح عندما زارني في الفندق مع الأخ الشيخ أمباكي إمام الجمعية، وذلك أنهما زاراني فقدمت لهما تمرات جيدة من نخلة من كرائم النخل التي في بيتي في بريدة كانت (أم ناصر) زوجتي أعطتني إياها على العادة، فأعجب الأخ محمد انجيلوين بطعمها ومدحها فقلت له: إنك تستطيع أن تأخذها، وكانت في وعاء من اللدائن غير كبير، فأخذها، ولكنه لم يستأثر بها لنفسه، وإنما صار يوزعها بعد الصلاة كما ذكرت على المصلين تمرتين تمرتين لكل مصلٍ حتى لم يبق منها تمرة واحدة إلا اثنتين أكلهما بنفسه ولم يبق أحد من المسلمين المصلين صلاة الجمعة في (المارتنيك) إلا آكل منها، فقلت: ماذا لو علمت (أم ناصر) بما فعل الله بتمراتها التي كانت أعطتني إياها لآكل منها إذا كنت مستعجلاً أو غير راغب في أكلة دسمة ثقيلة!

ونسيت أن أقول: إنني ذكرت لهم أنني رأيت أرض المركز الإسلامي المقرر إقامته في هذه البلاد وإنه سيكون معلماً من المعالم الرئيسية في المدينة وشاهداً حياً على وجود المسلمين فيها، ولذلك يجب علينا جميعاً أن نبذل كل ما نستطيع في سبيل العمل على بنائه وإتمام ذلك على الوجه المطلوب، وإن رابطة العالم الإسلامي سوف تسهم في دفع نفقات البناء ولكن بعد أن يبدؤوا بالعمل، وقد نصحت رئيس الجمعية الإسلامية الأخ محمد انجليوين وإخوانه في الجمعية أن يسارعوا إلى البدء في العمل حتى إذا أنفقوا ما لديهم ووقفت بهم النفقة عنه وقفوا، ثم كتبوا لإخوانهم في الرابطة وغيرها يخبرونهم بذلك.

وقلت لهم: لقد جربت بنفسي أن كل من بدأ من إخوتكم المسلمين في العالم ببناء مسجد فإن الله ييسر له إتمامه، حتى لو كان مثلهم لا يملك من المال ما يكفي لإتمام البناء ولا ما يقرب من ذلك.

هذا وقد انتظم الجميع في صفوف بعد الصلاة للسلام عليَّ، وعلى الإمام ورئيس الجمعية الإسلامية اللذين وقفا بجانبي، ثم انصرف الجميع ولم يبق في المركز غيري وغيرهما.

فانتهزت الفرصة لالتقاط صور للمركز في موقعه القريب من ضفة النهر الذي سبق ذكره، حيث يمر بوسط المدينة التجاري، ويقع المركز على شارع الشاطئ وهو شاطئ هذا النهر واسم الشارع الذي يقع عليه هو (بوليفار اليقا) واليقا: اسم رجل.

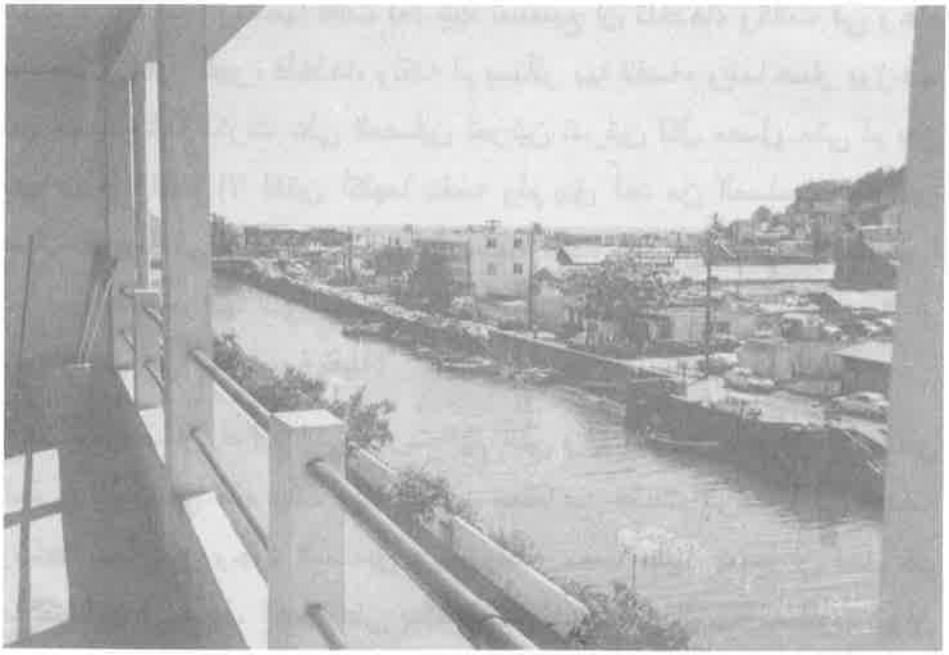

صورة التقطها المؤلف من داخل مسجد المارتنيك للنهر الذي يجري بجانب شارع المسجد

مأدبة سنغالية:

كان الأخ الإمام الشيخ (محمد امباكي) إمام المسلمين في هذه الجزيرة قد اتفق مع رئيس الجمعية الإسلامية الأخ محمد انجليوين على أن يكون الغداء عنده أي عند الإمام امباكي في بيته فذهبنا إليه بعد الصلاة على سيارة الأخ رئيس الجمعية، ووجدناه في الطابق الأول الذي هو الأرضي من دارة (فيلا) يسكن في الطابق الأعلى منها شخص آخر وله مدخل آخر ودرج خارجي يصعد منه من دون أن يمر ببيت الأخ الشيخ امباكي.

ورغم ذلك فإنه يدفع فيها إيجاراً شهرياً هو ٤٥٠٠ فرنك فرنسي ويساوي ذلك ثلاثة آلاف ومائتي ريال سعودية وهذا أكثر من نصف راتب الإمام إذ أنه يتقاضـــى الآن راتباً من وزارة الشئون الإسلامية في المملكة هو (٥٠٠٠) ريال سعودي.

كانت الرطوبة بالغة في هذه الظهيرة والحر مرهق جداً، لذلك سارع الأخ الشيخ امباكي عندما دخلنا إلى بيته بإحضار مروحة كهربائية كان لها أثر جيد لأنها بددت الرطوبة وجففت العرق، وسارع أيضاً بتقديم شراب من شراب الفاكهة المحلية التي تنمو في هذه البلاد واسمها (ماراقوجا) وقد أمعنت في هذا الشراب حتى تضلعت منه لأنه بارد ولذيذ، وكنت أخشى من أن أصاب بالزكام أو نحوه بسبب تغير الجو، والاختلاط بأعداد كبيرة من الناس، ووجدت نفسي ما جعلني أخشى أن يكون مقدمة لذلك غير أنني عندما شربت من هذا الشراب زايلني كل ذلك، ولا أدري أهو لخاصية في الشراب أم من أجل الراحة وتبديد الرطوبة.

وقد قدم الأخ الشيخ امباكي غداء سخياً هنيئاً عماده الأرز المقلي على الطريقة السنغالية لأنه من صنع زوجته الموجودة معه هنا.

وقد أكثر من السمك اللذيذ الموجود بكثرة في هذه الجزيرة إلا أنه غالٍ بالنسبة إلى أثمان السمك في بلادنا فهو أغلى مما هو عندنا بكثير.

ومع الأرز المقلي سلطة خضراء لذيذة ونوع من المرق الذي لا أعرف مكوناته وأما الفاكهة فإنها من فاكهة هذا البلاد ومنها الموز.

العودة إلى الجولة:

خرجت في الرابعة والنصف عصراً مع الأخ محمد انجليوين رئيس الجمعية الإسلامية والأخ الشيخ محمد امباكي لإكمال الجولة في مدينة (فوردوفرانس) لأنني لم استطع إكمالها في هذا الضحى بسبب الذهاب لصلاة الجمعة.

كانت الرطوبة ما تزال ثقيلة رغم ميل الشمس إلى المغيب، والعادة في هذه البلاد وأمثالها من البلدان المدارية أن المطر إذا تأخر اشتد الحر ولكن إذا نزل المطر اشتدت بعده الرطوبة، وقد اعتاد أهل البلاد عليها حتى لم يعودوا يشكون منها، بل إنهم صاروا يشكون من الجفاف و(لكل من دهره ما تعود) كما قال أبوالطيب المتنبي.

لقد عرف الأخ محمد انجليوين أنني زرت جميع أنحاء العالم فصار يستعرض معي البلاد البعيدة التي زارها عندما كان يعمل مع الجيش الفرنسي، وقد استمر عمله في الجيش مدة خمسة عشر عاماً، وذلك مثل تاهيتي في أقصى جنوب المحيط الهادئ، و(نيوكلدونيا) في جنوب المحيط الهادئ، وفيتنام وكلها زرتها وذكرتها في كتب لي عن منطقتها ما عدا تاهيتي فقد أفردتها بكتاب صغير عنوانه: (تائه في تاهيتي) وأما (نيوكلدونيا) فقد تكلمت عليها بتوسع في كتاب: (جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ) المطبوع وفيتنام خصصت لها كتاباً عنوانه: (أيام في فيتنام).

في وسط المدينة:

وهو وسط المدينة التجاري ويسمونه هنا (السنترو) بهذا المعنى، فكان السير فيه متعباً للزحام الشديد الناشئ من كثرة السيارات وضيق الشوارع غير أن الإدارة الحكومية نظمت الأمر بجعل السير في الشوارع ذا اتجاه واد في أغلب الأحيان، فكان على السائق إذا أراد الوصول إلى مكان أن يدور حتى يصله.

وقد عجبت من كثرة السيارات مع غلاء أسعارها وغلاء أسعار المحروقات، فأخبروني أن السبب في ذلك هو انتشار التعليم، حيث لا يرضى أحد أن يبقى في مكانه والثاني هو الرواج الاقتصادي في الجزيرة المتمثل في ارتفاع أجور العمال والامتيازات التي يحصل عليها العاملون في الدولة والشركات.

سوق الخضرات:

سوق الخضرات والفاكهة في (فوردوفرانس)

مررنا بسوق آخر للخضرات أكثر المعروض فيه على سيارات وعربات وفيه حوانيت مؤقتة صغيرة، وكان الوقت متأخراً بالنسبة للبيع فيه، إذْ رأيت البائعين يستعدون لمغادرته، وأهم ما رأيته فيه (اليام) وهو عروق كبيرة تشبه البطاطس، إلا أنها تكون ضخمة مستطيلة وتكون خشنة القشرة يأكلها سكان خط الاستواء، وما قرب منه، حيث زراعتها في جميع القارات

التي رأيتها ابتداء من هذه المنطقة الكاريبية التي قيل لي إنها موطنه الأصلي فهو- على هذا- كالبطاطس الذي عرفه الإنسان عندما اكتشف العالم الجديد إلى جزائر المحيط الهادئ إلى البلدان المدارية في القارّة الأفريقية.

ويصنعون منه أنواعاً من الطعام من أهمها العصيدة كما يصنعون منه دقيقاً يستعمل على أنواع متنوعة من الاستعمالات.

وهو أصغر من الكاسافا وأغلى منها بمعنى أنه أطيب مذاقاً وأحسن أثراً على الجسم، ولكن الكسافا أسهل زراعة وأكثر محصولاً من (اليام) والكاسافا عروق ضخمة صلبة تنبت تحت الأرض ويستعمل الناس ورقها مع المرق بمثابة الخضرات.

وكل هذه من منتجات المناطق المدارية الحارة الرطبة، ولا عيب فيها إلا أنها تكاد تكون نشويات خالصة خالية من الزلاليات (البروتينات) لذلك لا تكون غذاء جيداً إلا إذا أخذت معها مواد غنية بالزلال كاللحم واللبن والبيض.

ورأيت نوعاً من البطيخ الأخضر كثيراً عندهم وهو يشبه الموجود عندنا الذي نسميه الشمام غير أنه هنا أخضر اللون، وليس أصفر مثله في ذلك مثل البرتقال الذي ينتج في هذه البلاد فهو كبير أخضر الجلدة لا يكون أصفر أبداً، وهو إلى ذلك قاسي الجلد لا يكاد يسمح بتقشيره إلا بسكين، لذلك يبيعه بعضهم مقشوراً، وهو هنا كثير ومعتدل الثمن.

والشيء الكثير هنا هو الأناناس الطازج الذي قلع لتوه من المزرعة وليس غالياً أيضاً، وكذا يوجد عندهم خيار أملس غير جيد وهو غالي الثمن مثل البصل والثوم الذي لاحظت أنهم يبيعونه بأكثر مما نبيعه في بلادنا ثلاثة أضعاف مع أن بلادهم مطيرة، و أكثر المزروعات فيها لا يتعب الزارعون في سقيها، وإنما يكلون ذلك إلى المطر.

وهناك الموز الذي هو أنواع أيضاً ولا غرابة في ذلك لأن هذه المناطق وأمثالها يعتبر من مناطق الموز المعروفة.

أما الباعة في هذا السوق فإنهم كلهم من السود أو على الأدق من السوداوات، وكأن الإنسان إذا دخله في داخل قطر أفريقي لأن الوجوه والمعروضات لا تختلف عما في الأقطار الإفرِيقية جنوب الصحراء.

وقد طلبت من إحدى البائعات أن ألتقط لها صورة مع ما تبيعه فامتنعت من ذلك إلا أنني صورت بائعة أخرى من دون استئذان لأنها وما معها ليست مما يصان.

وقد مررنا بسوق السمك، ولم ندخل لضيق الوقت، ثم دخلنا في المنطقة التجارية التي يسمونها السنترو كما تقدم فوقفنا عند حانوت كبير كانت فيه امرأة عربية شابة على خزانة النقود وفيه شاب عربي بادرنا بالحديث عن وجوب بناء المسجد وأن تتولى البلدان العربية كالمملكة العربية السعودية بناءه لأن المسلمين في هذه البلاد بذلوا ما يستطيعون بذله في شراء الأرض وفي تسويرها وبأيديهم، فأخبرته أن رابطة العالم الإسلامي تعمل على مستوى العالم، والذي يعمل على مستوى العالم لا يمكن أن يتولى بناء كل المشروعات ولكننا سوف نساعد على بنائه إذا بدأ الإخوة المسلمون فيه، سواء بما تبذله الرابطة من ميزانيتها، وبما تستطيع أن تحصل عليه من الإخوة المتبرعين في البلاد الذين لا شك في أنهم سوف يسارعون بالتبرع إذا أخبرتهم الرابطة أن المسجد قد بدأ العمل به وتوقف لقصور النفقة وإن التبرع له أمر نافع وواقع موقعه.

ولاحظت أن اسم المتجر الكبير (الأخوة الثلاثة) وهم الأخوة الذين تقدم ذكر اثنين منهم وهم عطية محمد المنصور وأخوه باسم وزياد ثم انضم إليهم أخوهم الرابع سمير.

والمتجر واسع يبيع الملابس والأقمشة، ثم دخلنا محل الأخ محمد إسماعيل أحد التجار العرب المسلمين في شارع تجاري وذكروا أن هذا الشارع الذي يقع فيه المتجر واسمه (ايزامبير) يكثر فيه التجار العرب حتى إن أكثر المتاجر فيه هي لأبناء العرب كما قالوا، وظني أنهم يريدون أن العرب فيه كثير وليس كون العرب أكثر أهل الحوانيت فيه.

وذكروا أنهم من سوريا وفلسطين وأما اللبنانيون فإنهم موجودون ولكن عددهم قليل وكلهم من المسيحيين.

محلات محمود منصور:

والأخ محمود منصور واحد من وجهاء المسلمين في هذه البلاد وهو الذي نقلني معه بسيارته عند قدومي من المطار إلى بيته وصنع فيه مأدبة العشاء العربية الكبيرة.

وهو عامل للإسلام وكذلك ابنه ناصر الذي يكنونه به فيقولون له (أبوناصر)، ولهم متاجر عديدة مررنا على ثلاثة منها أحدها يعمل فيه ابنه ناصر الذي كان غائباً عن البلاد، ولكننا كنا نبحث عن الوالد محمود منصور فلم نجد فيه إلا أختاً عربية ذكرت أنه موجود في محل له آخر ذكرت موقعه للمرافقين.

متجر الحداد:

وجدنا الأخ محمود منصور في متجر له بادرنا أحد الإخوة الفلسطينيين الذي صادف أن كان موجوداً فيه بأنه متجر للحداد، وسألنا الأخ محمود منصور مستوضحين الأمر، فقال: نعم، إن كل ما في هذا المتجر مخصص للحداد على الميت من ملابس وأدوات ونحوها فقلت له: أيكون الموتى هنا من الكثرة بحيث يخصص لملابس الحداد عليهم محل كامل؟ فسارع الأخ الفلسطيني الموجود قائلاً: إن الحداد على الميت في هذه البلاد يستمر لمدة ثلاث سنوات.

وقلت للأخ محمود منصور ممازحاً: ولماذا اخترتم ملابس الحداد؟ فقال: الحقيقة أننا لم نخترها وإنما نحن تجار لدينا محلات للأفراح من أفراح العرائس وملابس الشباب ولدينا أيضاً الملابس التي يشتريها الناس للحداد في هذا المحل، فنحن نوفر الملابس التي يرغب الناس في شرائها.

مع الأخ محمود منصور في متجره في شارع فرانسواراجو في (فوردوفرانس)

وقال أحدهم: لاحظوا أن ملابس الحداد هي طويلة وساترة ولا تظهر شيئاً من مفاتن المرأة، وقلت له أيضاً: هل يترافق هذا مع دعاية منكم للبس ملابس الحداد؟ فنفى ذلك، وقال: نحن نبيع في هذا الدكان مجتمعاً ما يبيعه الآخرون متفرقاً، فيكون المشتري مخيراً بين أنواع من الملابس ونلاحظ أن الذين يشترون منا من غير المسلمين لأن المسلمين قلة في هذه البلاد، وهم لا يعملون ما يعمله غير المسلمين.

ويقع المتجر في شارع تجاري مهم اسمه (فرانسوا اراجو) أكثر محلاته التجارية الكبيرة يملكها العرب.

ثم انطلقنا مع الرئيس بسيارته فمررنا بمحلات للعرب، ورأينا على أحد المتاجر مكان محو فقال الرئيس وأعني به الأخ محمد انجليوين رئيس الجمعية الإسلامية في المارتنيك: إن بعض الإخوة المسلمين العرب يكتبون فوق متاجرهم البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وفوجئوا بأن بعض الناس كان يمحو هذه العبارة، وهذا واحد منها.

يتميز المركز التجاري في مدينة (فودوفرانس) بضيق شوارعه كهذا الشارع

وقال أحدهم: ربما كان الذين يقومون بمحو البسملة من اليهود، وقال: الرئيس هذا محتمل، واليهود هنا عددهم قليل، ولكن لهم أهمية تجارية وهم متضامنون فيما بينهم.

ومررنا بكنيسة ضخمة للكاثوليك الذين هم أكثرية السكان في البلاد وقد اجمعوا على القول بأن أكثر الذين يذهبون إلى هذه الكنيسة وأمثالها في يوم الأحد من العجائز وكبار السن.

وذكروا أن الناس- على وجه العموم- هنا غير متعصبين للمسيحية، لأنهم لا يشعرون بأنها ديانة نابعة من هذه البلاد، وإنما هي قادمة إليها مع المستعمرين الأوروبيين، ومع ذلك فإن العداء للأوروبيينّ قليل أيضاً رغم كون السود ومن التحق بهم من الخلاسيين يؤلفون ٨٠% من مجموع السكان.

كنا نود أن نرى كل الشوارع وبخاصة الشوارع التي فيها محلات وحوانيت للتجار العرب في وسط المدينة هذا، غير أن الزحام كان بالغاً، ووجود مكان لإيقاف السيارة يعتبر أمراً صعباً لأنه إذا وقفت سيارة واحدة في الشارع لا يبقى منه إلا ما يكفي لمرور سيارة واحدة أخرى.

وقد مررنا بمحل تجاري كبير عليه اسم أحد العرب في شارع تجاري آخر اسمه (شولتشير).

وفارقنا الوسط التجاري في الخامسة والنصف، وقد بقي على غروب الشمس قليل، إذ هي تغرب في السادسة إلا عشر دقائق.

وقد أخبرونا أن الزمن لا يكاد يتغير عندهم، فلا يتأخر غروب الشمس عن السادسة والربع ولا يتقدم على السادسة إلا الربع لقرب البلاد من خط الاستواء، ولذلك لا توجد فيها فصول كالتي نعرفها في بلادنا، بل الفصل الحار هو الذي يتخلف فيه المطر وهو قلما يتخلف، والبارد هو الذي ينزل فيه المطر أثناء نزول المطر أو بعده بقليل.

وقد كثرت تعليقات الإخوة على حالة العرب هنا لمناسبة محلاتهم التجارية فأجمعوا على أنهم يعتبرون على وجه العموم من الأغنياء، و يكادون يكونون كلهم كذلك، إلا الشبان أو الذين جاءوا حديثاً ولم يكونوا لأنفسهم رأس مال بعد.

وسألتهم عن الأسعار في الجزيرة فأخبروني بالعجب من غلائها رغم خصوبة أرضهم وخضرتها الشديدة التي يتبادر إلى الذهن أنها يجب أن تكون

سبباً للرخص لأنها تصلح أعلافاً لحيوان اللحم واللبن، فقد ذكروا أن الكيلو الصافي من لحم البقر أي الذي ليس فيه عظم يباع بتسعين فرنكاً فرنسياً أي ما يساوي ٦٢ ريال سعودياً، وهذا غلاء فاحش، فكرر بعضهم التعليق على ذلك بقوله: إن هذه البلاد تأتي في الغلاء بعد اليابان مباشرة.

تغيير التذكرة:

كان المكتب المختص في رابطة العالم الإسلامي قد قطع تذكرة السفر طبقاً لما عرفه من دفاتر الرحلات الواضحة في الكتب المطبوعة لذلك وقد صار بعضها طويلاً متعرجاً مثل السفر من بارباروس إلى (قرينادا) قد جعله يمر بمدينة (بورت أوف اسبين) عاصمة ترينداد ثم يمر بكراكاس عاصمة فنزويلا ثم قرينادا.

وعرفت هنا أن شركة للطيران صغيرة محلية موجودة في المنطقة تسير رحلات مباشرة وواسعة بين كل الجزر فيها على طائرات صغيرة مروحية يمكنها أن تطير بالعدد القليل من الركاب من دن أن تخشى الخسارة كالطائرات الكبيرة، كما يمكنها أن تنزل في المطارات الصغيرة.

فخرجنا إلى مكتب لها يفتح باستمرار في المطار.

كان زحام السيارات بالغاً حتى خارج الوسط التجاري للمدينة، والملاحظ أن كل السيارات ذات مظهر جيد أو على الأقل غير سيئ وأكثرها ذوات أحجام صغيرة من السيارات الفرنسية أو غيرها.

طريق المطار في المارتنيك

ولا يبعد المطار عن قلب المدينة إلا تسعة كيلومترات، ومع ذلك أبطأنا في الوصول إليه بسبب كثرة السيارات ووقوفها في شوارع المدينة الضيقة التي ضاقت بسيارات المنصرفين من أعمالهم إلى مساكنهم والتي أكثرها خارج المدينة أو في ضواحيها البعيدة.

وأرونا منطقة صناعية يدعها من يخرج من المدينة إلى المطار على يده اليمنى وفيها معمل لتكرير النفط وخزانات للنفط عديدة، وإن لم تكن كبيرة، وذكروا أن النفط يأتي إليهم من فنزويلا التي تعتبر جزءاً من هذه المنطقة الكاريبية، وإن تكن في القارة الأمريكية الجنوبية، وذلك لكون سواحلها كلها واقعة على البحر الكاريبي ولا تبعد عن بعض جزر البحر

الكاريبي ومنها جزيرة كورساو إلا بعض دقائق بالطائرة، وقد ذكرت زيارتي إلى جزيرة كورساو في كتاب: (جولة في جزائر البحر الكاريبي) المطبوع.

وعلى أيسر الخارج إلى المطار محلات تجارية كبيرة (سوبر ماركت) أكثرها يملكه يهود على قلة عددهم في الجزيرة.

وجدنا في مكتب شركة (ليات) للطيران في المطار امرأة خلاسية مهذبة أخبرتها بخط سيري من هذه الجزيرة إلى آخره في جزيرة سان مارتن وطلبت منها أن تقطع لي تذاكر وتحجز لي الأماكن إليها، ففعلت ذلك بعد مراجعة رغبتي في طول مدة البقاء في كل بلد أوعدمها.

وكان المترجم هو الأخ الشيخ امباكي جزاه الله خيراً.

وقطعت لي عدة تذاكر وحجزت لعدة بلدان بما يزيد قليلاً على خمسمائة دولار أمريكي فاستعضت بها عن تذاكري الطويلة التي هي مقطوعة كلها بالدرجة الأولى ولا توجد طائرات فيها درجة أولى بين هذه الجزر التي هي دول صغيرة، وكان عدد البلدان التي اشتريت لها منها تذاكر وحجزت لها ثمانية ذكرتها كلها في سلسلة الرحلات الكاريبية التي منها هذا الكتاب.

الاجتماع بالمسلمين ثانية:

عدنا إلى العاصمة حيث قصدنا بيت الأخ الكريم محمود منصور من أجل البحث في أمور المسجد وحضر الاجتماع رئيس الجمعية الإسلامية والإمام امباكي وأمين الصندوق وعدد من الأعضاء، وقد سلمتهم فيه صكا (شيكاً) من الرابطة بما يعادل مائة ألف ريال سعودي، ويساوي ذلك ٢٨ ألف دولار أمريكي ونصفاً مساعدة من الرابطة على البدء في أعمال بناء المركز.

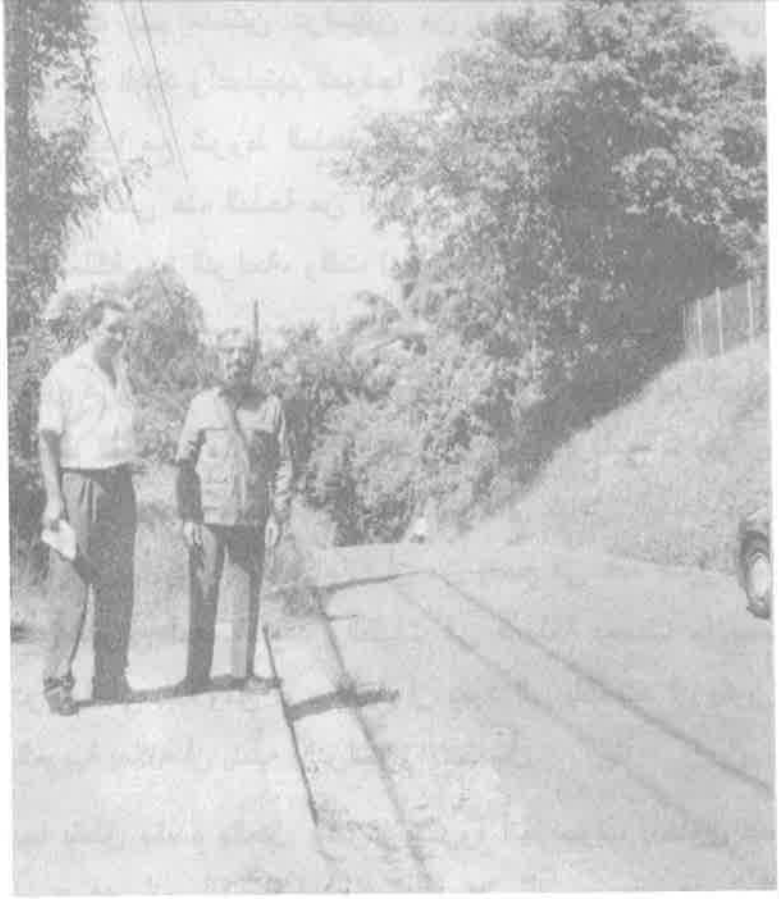

صورة تذكارية مع المهندس عمر رباش في الشارع الذي عليه أرض المسجد الجديد في ضاحية (فوردوفرانس)

كما ناقشت مع المهندس الأخ عمر الشريف رياش الخرائط والمخططات التي أعدها للمركز الإسلامي، وقد طلب مني الإخوة أعضاء الجمعية أن أبدي رأيي فيها، وأبديت بعض الملاحظات التي ظهرت لي، ومن ذلك أن الشارع الرئيسي الذي تقع عليه أرض المركز وهو شارع (بلاتا) هو رئيسي تجاري في جزء منه فاقترحت عليهم أن يبنوا حوانيت عليه ليؤجروها بما ينفق منه النفقات المتكررة للمسجد لئلا يستمر بحاجة إلى التبرعات.

كما قدمت لهم منحتين دراسيتين من رابطة العالم الإسلامي لأبناء المسلمين في هذه البلاد وأعطيتهم أنموذجاً لاستمارة ينبغي على من يريد التمتع بالمنحة أن يملأها مع شروط المنحة وقلت لهم: إننا في الرابطة نتكفل بكل النفقات المترتبة على هذه المنحة من تذاكر سفر ومن إعانة شهرية مالية ومن السكن في المملكة مدة الدراسة، وقلت لهم إنني أعلم كما تعلمون أنه لا يوجد في جزيرتكم تعليم إسلامي يمكن أن يؤهل الطالب للالتحاق بكليات الشريعة وأصول الدين في المملكة مباشرة، ولذلك فإنه لا مانع لدينا إذا رأيتم أن تكون المنحتان لتعليم اللغة العربية في مكة المكرمة، فهناك برنامج دراسي يستغرق سنة واحدة، وآخر يستغرق سنتين، حسب ما لدى شاغل المنحة من معرفة بمبادئ اللغة العربية قبل ذلك، والعادة أن من ينجح في هذه الدورة يمكنه أن يواصل الدراسة في أحد المعاهد والكليات في المملكة بحسب ما يحمله من شهادات دراسية في بلده ومن ثم يستطيع أن يعود إلى بلده بعد أن يكون عرف قدراً من العربية يمكنه أن ينميه بالدراسة والاستعمال.

وفيما يتعلق بالبدء بالعمل بالمركز ذكروا أنهم سوف يأخذون بنصيحتي في الموضوع غير أنهم أفاضوا في ذكر شدة غلاء الأسعار في هذه البلاد حتى قالوا: إنها أغلى بلد بعد اليابان وذكروا ما سبق أن نقلته وهو أن الحكومة الفرنسية تزيد في مرتبات الموظفين الذين يعملون في هذه البلاد ٤٠% عن رواتبهم في فرنسا نفسها وهي المعروفة عندنا بارتفاع الأسعار فيها وذكروا سعر الأسمنت الذي يصنعونه في بلادهم أي في جزيرة المارتنيك نفسها فذكروا سعره فوجدته يزيد ثلاثة أضعاف عن سعره في بلادنا.

وقد عللوا ارتفاع سعره بارتفاع أجور العمال، وكثرة الضرائب على الإنتاج.

وقد تناولنا العشاء مرة أخرى في بيت الأخ الكريم خلقاً وكرماً حقيقياً محمود منصور وخرجنا من بيته في العاشرة والنصف ليلاً.

يوم السبت ١٤٢٦/٥/٢٦هـ- ١٩٩٥/١٠/٢١م:

كانت فاتحة هذا اليوم تناول الإفطار الجيد في المطعم الذي هو بمثابة الشرفة المسقوفة على شاطئ البحر وهو على نظام المائدة المفتوحة، وتكرر اليوم ما رأيته أمس من جمال المناظر الطبيعية ومن الرطوبة الثقيلة حتى في هذا الصباح لأن المطعم غير مكيف، وإنما توجد فيه مراوح قد أصيبت بالكسل فهي لا تعمل عملاً كافياً، وربما كان ذلك بسبب أن معظم نزلاء الفندق هم من السياح الأوروبيين الذين جاءوا إلى هذه البلاد ابتغاء الحر والحصول على ما يسمونه (السونا)، وهو التعرق في لغتنا العربية حتى يتاح للجسم أن يتخلص من بعض الأملاح والسموم الموجودة فيه عن طريق الإفرازات الجلدية، ومن ثم يحتاج المرء إلى السباحة والاستحمام فيجد ذلك في بركة السباحة النظيفة الجيدة الموجودة في الفندق أو في شاطئ البحر القريب منها.

المؤلف في ضاحية من مدينة (فوردو فرانس) تطل على البحر

كما تكررت رؤية الطير الذي يتطفل على موائد الكرام والعصافير الدورية الصغيرة التي تتمسك بالأدب فلا تقع إلا على ما يقع من فتات الموائد على الأرض.

وشيء آخر يستحيا منه وهو أن بعض السائحات السابحات قد عرين صدورهن في البركة وما حولها من الأفنية المبلطة ولا أدري الذي حملهن على ذلك مع أن العرف عند الأوروبيات ومن لف لفهن أن النهد كالفرج في وجوب تغطيته إلا في مواطن محددة عند بني قومهن.

وعلى ذكر بركة السباحة أقول إن الله قد عافاها مني وعافاني منها، فلم أنزل في أية بركة من البرك في جميع الفنادق التي نزلت بها في هذه الجولة وكلها ذات برك للسباحة ليس ذلك من باب التورع الذي ينبغي أن يكون، وإنما من عدم وجود الوقت الذي أصرفه فيما هو ألزم وأفضل.

جولة في جزيرة المارتنيك:

جزيرة المارتنيك جزيرة كبيرة بالنسبة إلى حجم الجزر المجاورة لها التي يؤلف أكثرها دولة في حد ذاته مثل باربادوس وقرينادا وسانتا لوسيا ودومنيكا وكلها جزر سأزورها إن شاء الله وأتكلم عليها في هذا الكتاب أو في كتابين بعده إن لم يتسع هذا الكتاب للكلام عليها، وتبلغ مساحة المارتنيك (١١٠٠) كيلومتر مربع، ولذلك كانت الجولة فيها ضرورية للاطلاع على طبيعة أرضها ورؤية بعض مدنها وقراها.

بدأت الجولة بعد أن مر بي الإخوان (محمد انجليوين) رئيس الجمعية الإسلامية والشيخ الإمام امباكي إمام الجمعية في فندقي ضحى هذا اليوم ودفعتها الجمعية للفندق أجرة الليلتين اللتين أقمتهما فيه فشكرتهم على ذلك ودفعته لهم فوراً، والغرض من دفعهم المبلغ هو تخفيض ٤٠% لأنهم جمعية خيرية معترف بها وللجمعيات الخيرية معاملة خاصة.

وكان الأخوان قد شاهدا معي شريطاً سينمائياً بثه التلفاز الفرنسي يصور جماعة من البدائيين من السكان الأصلاء في هذه البلاد ويبرز حياتهم التي كانوا يحيونها قبل وصول الأوروبيين إليهم، وكيف أنهم لا يأنفون من العري الفاضح حتى إن نساءهم كما صوروهن في التلفاز لا يضعن أي شيء من اللباس على أجسادهن إلا ما ستر العورة المغلظة التي هي القبل والدبر.

وعندما حانت إطلالة من أحدنا إلى بركة السباحة في الفندق الذي تطل شرفة الغرفة عليه رأى الفرنسيات وغيرهن من البيضاوات اللاتي يدعين التقدم والمدنية وليس عليهن من اللباس إلا ما على أولئك البدائيات المتأخرات لأنهن هكذا سمحن لأنفسهن أن يبقين في البركة وما حولها كما سبق.

فتساءلنا عما إذا كانت المدنية الأوروبية ستعود بالإنسان إلى عهد الحياة البدائية؟

وقد ذكرني هذا بما كنت قرأته في كتاب يتعلق بجزر جنوب المحيط الهادئ رأيته في مملكة تونقا الواقعة إلى الشرق من نيوزلندا وفيه رسم هزلي (كاريكاتوري) يمثل نسوة من الأوروبيات يقفن حول رجل وامرأته من السكان المحليين ليس عليهما من اللباس إلا ما يستر العورة المغلظة ويقلن لهما: استرا هذا، أي استترا باللباس، لأن الأوربيات كانت عليهن ملابس طويلة سابغة وتحته رسم لأوروبيات جئن سائحات إلى تلك الجزر التي هي على شاطئ البحر ليس عليهن إلا ما لا يكاد يعد لباساً وجماعة من المواطنين يقولون لهم: استرن هذا أو تسترن!!.

منازل جميلة على التلال في (فوردوفرانس)

غادرنا الفندق وحملنا أمتعتي بالسيارة لأننا لن نعود إليه وسرنا مع شوارع (فوردي فرانس) الجيدة التي ليس فيها عيب إلا الضيق، والربى الخضر الجميلة التي ترقشها المنازل الجميلة تطالعنا من كل جهة ومررنا بمكتب شركة (ليات) للطيران لأن الموظفة كانت ذكرت أنها أبرقت للبلدان التي سوف أذهب إليها وليست لذيّ سمة دخول إليها مثل بربادوس واقراناد ودومنيكا، وقالت: لقد تلقينا إجابتهم بالقبول وقد تكلم الإخوة هنا في هذا الصباح مع الأخ سليمان بلبليه الإمام في أحد مساجد بربادوس من أجل أن يستقبلني في المطار وكانوا كلموه أمس بالهاتف فأجابهم بذلك غير أنه في هذا الصباح ذكر أنه مشغول وأنه سوف يرسل أحد الإخوة لاستقبالي في المطار عوضاً عنه.

إلى جنوب المارتنيك:

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة والنصف قبل الظهر عندما تركنا مطار (فور دي فرانس) واتجهنا جنوباً للذهاب إلى جنوب جزيرة المارتنيك والإطلاع على طبيعة الأرض والقرى فيها ومن المقرر أن نذهب بعد ذلك إلى شمال الجزيرة إن اتسع الوقت.

سرنا مع طريق مزدوج جيد، بل ممتاز، وما تزال التلال الخضر موجودة في المنطقة، ترصعها منازل بيض الطلاء غارقة في الجنات.

ثم أوغلنا في الريف فقلت المنازل وكثرت حقول قصب السكر في هذا الريف.

وسألتهم لمناسبة الخضرة عن الغذاء الرئيسي في البلاد لعامة الشعب فذكروا أنه الآن الخبز والأرز وأنه كان قبل ذلك من اليام والموز الأخضر الذي يطبخ طبخاً أو يغلى ولا يصلح للأكل طازجاً.

وكثرت حقول السكر على الطريق وذكروا بهذه المناسبة أنهم يصدرون السكر إلى خارج البلاد، غير أن ارتفاع تكلفته في هذه البلاد جعلت الحكومة تعمل على الحد من زراعته وتشتري من السوق الدولية سكراً بثمن رخيص جداً بالنسبة إلى أقيام السكر في البلاد.

صورة لحقول قصب السكر في المارتنيك

والسيارات كثيرة جداً في هذا الريف مثلما أنها كثيرة في شوارع المدينة وإن لم يكونا في الكثرة سواء.

وأكثر الناس الذين يرون هنا إن لم يكونوا كلهم هم من السود وإن لم يكن سواد بعضهم حالكاً، ولا شك في أن سبب ذلك هو مقاربة آبائهم وأمهاتهم للفرنسيين، وإلا فإن الطقس في الجزيرة هو مداري أي حار رطب لا يساعد على صفاء اللون، بل إنه يصبغ الأجساد بالسواد.

والمنطقة كلها أشبه بالغابة التي معظم أشجارها من أشجار الغابات التي تستغل لأخشابها وليس لثمارها أو فاكهتها وقال الأخ (محمد انجليوين) رئيس الجمعية: إنني أعمل في إدارة الطرق فكنت أمر بهذا المكان مروراً متكرراً لتفقد حالة الطرق.

وبعض الأشجار غير المثمرة فيها زهور جميلة ومن الأشجار المثمرة النارجيل ولكنه ليس كثيف الوجود في هذه المنطقة.

ثم وقعنا في ريف خالص ليس فيه منازل وإنما هو حقول من حقول السكر وأعشاب وحشية أي غير مزروعة نامية بكثافة،وقلت للأخ محمد انجيلونين: إن هذه الأعشاب تغري بتربية الحيوان وقد بلغني أن اللحم هنا غالٍ جداً، فقال: هذا صحيح، وهناك تربية حيوان ولكنه ليس كثيراً لأنه يحتاج إلى عمال أجورهم غالية، وامتيازاتهم كثيرة تثقل كاهل رب العمل.

ومررنا بمصنع أشار إليه المرافقان وقالا: إنه مصنع للخمور من السكر ولكنه مغلق الآن، ثم وصلنا شاطئ البحر جهة اليمين، ولم نكن نسير عليه مباشرة ولكننا نراه قريباً منا.

وقد وصلنا إليه لما ذكرته من قلة عرض الجزيرة، ومن وجود جبال وتلال وعرة في وسطها تجعل الناس يبنون مساكنهم في الأماكن المطمئنة القريبة من شاطئ البحر.

بلدة سانت ليس:

مررنا ببلدة (سانت ليس) التي تقع على شاطئ البحر ولكنها تنتشر لمساحات واسعة فلمساكنها حدائق وهي في منطقة متسعة من الشاطئ.

ويبلغ عدد سكانها مع ضواحيها ٦٠ ألفاً وهذا رقم كبير بالنسبة إلى سكان هذه الجزيرة الذين يناهز عددهم الأربعمائة ألف نسمة، لا يكاد يتجاوزها في الوقت الحاضر.

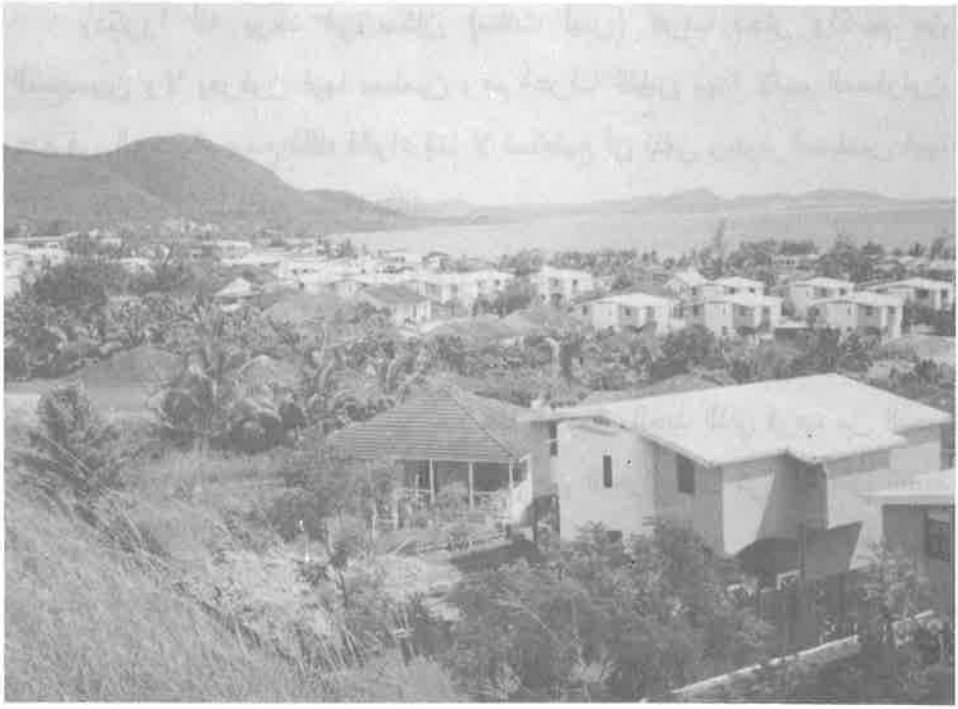

بلدة (سانت ليس) في المارتنيك

وهي مثل غيرها من المنطقة يحدها البحر من جهة وتحدها الربى الخضر من الجهة الأخرى وإن كانت لا تحاصرها وإنما تفسح لها المجال.

أردنا التقاط صورة تذكارية مع رئيس الجمعية الإسلامية وإمامها الشيخ حبيب امباكي فدخلنا في أعشاب ملتفة تعلو ركبة الرجل، فقلت لهم: إنني

أخاف أن تعلق أشواك من هذه الأعشاب برجلي أو ثيابي فقالوا لي: إنه لا يوجد هنا شوك، وعللوا ذلك بكون المنطقة مدارية مطيرة، ولكنني لم أقنع بهذا التعليل لأنني أعرف بلاداً مثلها مدارية مطيرة والشوك في أعشابها لا يكاد المرء يتخلص منه، ثم رأيت ما يؤيد ما ذهبت إليه في البلدان التي زرتها بعد المارتنيك وكلها مدارية مطيرة، ولكن بعض الأعشاب فيها شائكة بحيث يصعب تخليص الثياب من شوكها.

وذكروا أنه يوجد في سكان (سانت ليس) عرب تجار ولكنهم من المسيحيين ولا يعرفون فيها مسلمين وهم أعرف الناس بهذا لأنهم المسئولون عنه في الجمعية، ومع ذلك قالوا: إننا لا نستطيع أن ننفي وجود المسلمين فيها لأنه محتمل ولكننا ننفي علمنا بذلك.

الماء والخضرة والوجه الأخضر:

كنا وقفنا بإزاء بلدة (سانت ليس) واستجلينا مناظر المنطقة والتقطنا ما شئنا من الصور، ثم واصلنا السير مع هذا الطريق الجيد الذي قرب من البحر حتى اضطروا أن يقيموا جسراً على خور من البحر داخل في الأرض تحيط به الربى الخضر في جو أخضر من الماء البحري غير العميق والغابات الخضر والبسط السندسية من الأعشاب إلى جانب وجوه المواطنين الخضر.

والخضرة في العربية القديمة تعني السواد، كما كانوا أطلقوا على أرض العراق المزروعة أرض السواد لخضرتها، وكان طائفة من غربان العرب وهم سودها يعرفون بالخضر كما أنشد أحدهم:

وأنـــا الأخضـــــر مـــن ينكـــوني أخضـــر الجلـــدة من نســـل العرب

ولا شك أن الجمال والشعور به هما أمران نسبيان يختلفان باختلاف حال الناظر وما ألفه من شيء أو نفر منه فقد يرى بعضهم في خضرة الوجوه ما

لا يراه غيره، ممن يكون البياض هو أولى درجات الجمال عنده، كما قالت العامة عندنا في أمثالها: (البياض سلطان الزين)، والزين هنا هو الجمال.

المؤلف بين الأعشاب الكثيفة في ريف مارتنيك

ثم وصلنا جسراً آخر على خور آخر من أخوار البحر وهو اللسان من الماء يدخل في الأرض وهو المعروف عند الكتّاب عندنا بالخليج، والخليج في لغتنا يصدق عليه وعلى ما هو أكبر منه، بخلاف الخور الذي لا يكون متسعاً، وإذا اتسع نعتوه بذلك كأن يقولوا: إنه خور واسع أو خور عظيم.

واللافتات التي تشير إلى الجهات التي يصل إليها الطريق أو تتفرع منه، أو تتضمن بعض التعليمات مكتوبة كلها بالفرنسية، ليست معها لغة أخرى.

ثم صعد الطريق تلة خضراء وعلى الطريق مزارع لتربية الأبقار الجيدة المظهر ولكنها قليلة العدد.

ولاحظت أنهم لعنايتهم بالطريق قد حموه من جهة الهاوية، وهي المنخفض الذي يسير على حافته فوضعوا حاجزاً قوياً عليه.

الاستراحة الخضراء:

وقف الأخ محمد انجليوين بسيارته في مظلة خشبية مقامة على متسع في جانب الطريق يبعد عن الطريق نفسه لكي يقف عندها من يريد التمتع بهذه المناظر الخلابة أو لمجرد الوقوف، وفيها مقاعد خشبية جيدة، وهي على شاطئ البحر.

وأمام هذه المظلة ترى مدينة (سانت آن) مع منطقتها الخضراء.

وقد تمتعنا بالفعل بالوقوف واستجلاء المناظر هنا والتقطنا ما شئنا من الصور.

ولم نضع كثير وقت فقفلنا راجعين على أمل أن نذهب إلى جهة من شمال الجزيرة يحسن الإطلاع عليها إلا أن الوقت لم يتسع لذلك كما سيأتي.

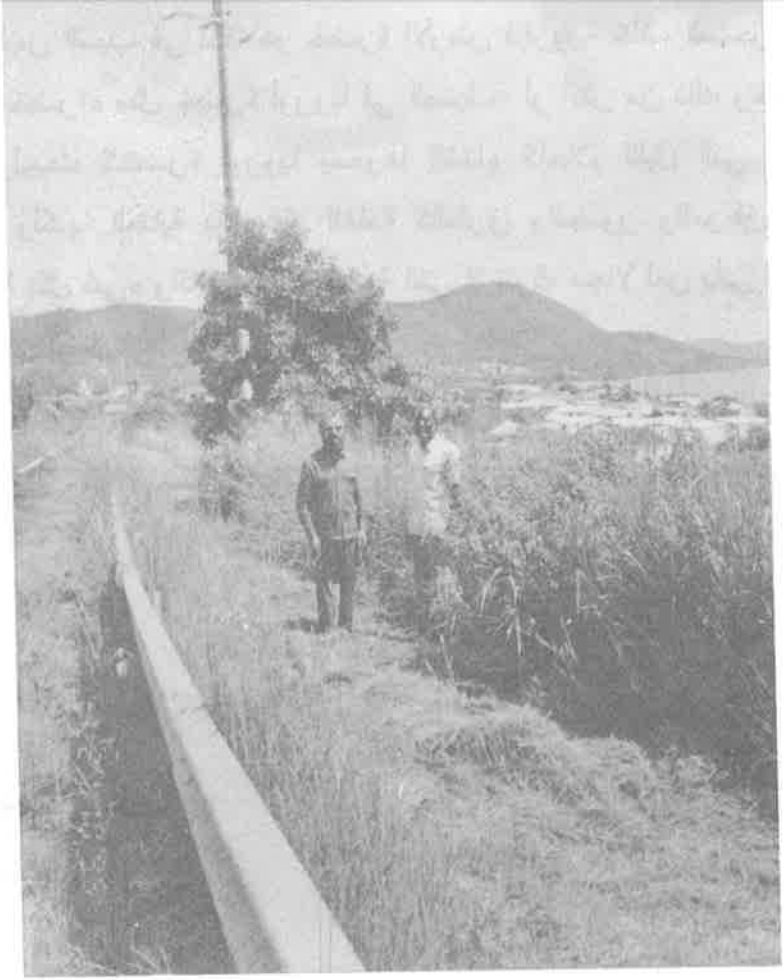

المؤلف يقف في أيمن الطريق مع الإمام امباكي
ويبدو جـزء من بلـدة (سـانت ليس) خلفهما

وقد قلت وأنا أرى هذه المناظر الخلابة والعناية الظاهرة في كل شيء: إنها أرض أوروبية يسكنها شعب إفريقي، وذلك عكس ما قلته في البانيا عندما زرتها لأول مرة قلت إنها أرض إفريقية يسكنها شعب أوروبي، وقد ذكرت مشاهداتي في البانيا في كتاب خاص بها عنوانه: (كنت في البانيا) وهو كتاب مطبوع.

وليس السبب في ذلك هو خضرة الأرض فإفريقية خلف الصحراء فيها مناطق خضراء مثل خضرة أوروبا في الصيف، أو أكثر من ذلك وخضرتها دائمة وليست كخضرة أوروبا يمحوها الشتاء كأحلام الليل التي يمحوها النهار، ولكنها العناية بالمرافق العامة كالطرق والجسور والمرافق العامة والنظافة بكل شيء واللافتات الإرشادية التي لا تترك مجالاً لمن يأتي إلى هذه الطرق أن يضل فيها أو يتيه.

مطعم ماكنجا:

ساحة وقوف السيارات عند مطعم ماكنجا

بلغت الساعة الواحدة حين انصرفنا من الاستراحة المطلة على مدينة (سانت آن) ولذلك صرنا نتطلع إلى مكان نتناول فيه الغداء، وأجمع المرافقان على أن أفضل مكان لذلك أن نتغدى في مطعم على الطريق.

فوقفنا عند مطعم رث الأثاث تقوم عليه امرأة إفريقية الأصل تتسم مثل غالب الناس في هذه البلاد بالسماحة وسهولة المعاملة.

ورأيت اسم المطعم مكتوباً عليه بالفرنسية وهو أنه (مطعم ماكنجا) وهنا ذكرت ما كان علق في ذهني عن (ماكنجا) هذه عندما كنت في مدينة (ناتال) عاصمة ولاية (ريو قراندي دي نورتي) في شمال البرازيل، ويعني اسمها النهر الكبير الشمالي، ورأيت تمثال (ماكنجا) هذه مقاماً على شاطئ البحر مرفوعاً إلى درجة كبيرة.

وقال دليل برازيلي: إن (ماكنجا) هذه فيما يزعم الأفارقة الذين جئ بهم عبيداً من إفريقية إلى هذه البلاد البرازيلية: إنها امرأة كانت تساعدهم، وقد تطور مفهومهم لأمرها حتى زعم زاعمون جاءوا بعدهم بأنها إلهة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد صار البرازيليون في كل أنحاء البرازيل التي أعرفها وصادف دخول سنة ميلادية وجودي فيها أن يذهبوا إلى البحر قبل انقضاء العام بساعات، وحتى دقائق قبل حلول الساعة الثانية عشر من آخر يوم من أيام ديسمبر ويرموا فيه شيئاً كثيراً ما يكون زهوراً يزعمون أنه هدية لماكنجا هذه وأن من فعل ذلك وتمنى الحصول على شيء معين تحققت أمنيته.

ومن أهم وأوسع المدن التي رأيت فيها ذلك مدينة (ريو دي جانيرو) ثانية المدن البرازيلية من حيث عدد السكان بعد مدينة (سان باولو) التي هي ثانية مدن العالم في كثافة السكان بعد مدينة مكسيكو عاصمة جمهورية المكسيك كبرى مدن العالم على الإطلاق.

وقد سألت صاحبة المطعم عما تعرفه عن (ماكنجا) هذه فذكرت نحواً مما ذكرته وقالت: إنها تساعد الأفريقيين تريد أنها كانت عرفت بمساعدة الأفريقيين السود في العالم الجديد، وذكرت أن هذه الأمور وصلت إليهم من المكسيك، ولا

شك في أنها لم تر مثلي من أمرها ما رأيته في البرازيل، وإلا لعرفت أن أصل ذلك من البرازيل لا من المكسيك.

وذكرت أن المكسيكيين يعتقدون أنها ربة البحر.

الأخ محمد انجليوين مع صاحبة مطعم ماكنجا في المارتنيك

ولما رأيت سماحة المرأة وقد تجاوزت مرحلة الشباب قلت لها وأنا صادق: إن منظرك يذكرني بمنظر أخوات لك رأيتهن في مالي والسنغال كلهن من المسلمات، وما أبعد أن يكون أجدادك من هناك، فمن الأفضل لك أن تعودي إلى دين آبائك وأجدادك الذي هو الدين الإسلامي الحنيف، فقالت: نعم، وتكفل لها الإخوان المرافقان بأن ترسل الجمعية الإسلامية إليها كتباً توضح مبادئ التعليم الإسلامي، لتساعدها على فهم الإسلام.

وقد أحضرت حسب طلبنا أكلة محلية فيها خيار مبشور كهيئة الشعير وهو حار ولك أن تتصور حرارة الخيار الحار، وفاكهة أبوكاتو وهي تؤكل حارة ويوضع عليها الملح في مثل هذه الأكلة ومع ذلك خبز أفرنجي ولحم.

وقد استغرق الطعام وإعداده والانتهاء منه ساعة كاملة غادرنا المطعم في نهاية الساعة الثانية بعد أن التقطنا صورة أصرت البائعة على أخذها معنا وطلبت أن نرسل لها نسخة منها، وأنى لي أن أفعل ذلك وقد نقدناها ثمن الوجبة هذه لثلاثة أشخاص ١٨٤ فرنكاً فرنسياً أي حوالي ١٣٠ ريالاً سعودياً ومع أن هذا سعر غالٍ جداً بالنسبة إلى الأسعار عندنا فإنهم ذكروا أن مثلها يكون ثمنه ضعف ثمنها في مطاعم المدينة.

وعند العودة عجبت لكون ساحل البحر عليه الخضرة والأشجار النامية وكأنما هو ساحل نهري، وذلك لكثرة الأمطار التي تغسل الأملاح عنها وترويها.

وقد لاحظت أن الرشاقة هي الغالبة على الناس في هذه البلاد مع كونهم يعيشون في جو مداري حار رطب، فعلل ذلك الإخوان المرافقان كما علله غيرهم من أهل البلاد بعد ذلك بكونهم يعملون عملاً كثيراً، لأن الذي لا يعمل هنا لا يحصل على ما يريده إذا كان قادراً على العمل.

ولا نهر في هذه المنطقة وإنما هو في شمال الجزيرة مع أن مساحة الجزيرة كلها هي (١٠٨٠) كيلومتر مربع إلا أنها كلها أرض خضراء منتجة، مع أن القوم يقولون: إن الحكومة الفرنسية تنفق عليها نفقات كبيرة لأنها أرض فرنسية كسائر الأراضي الفرنسية.

العودة إلى فور دو فرانس:

عدنا إلى مدينة (فور دو فرانس) مع مدخل آخر هو حي شعبي اسمه (سانت بيريز) ويلاحظ المرء كثرة الأماكن والقرى المسماة بأسماء القديسين عندهم لأن (سانت) قديس كما هو معروف، والسبب في ذلك أنهم عندما جاءوا إلى هذه المناطق مكتشفين كانت الروح الدينية مسيطرة عليهم، إضافة إلى ما يولده الدخول في المجهول من رهبة وخوف يحتاج الإنسان إلى أن يقاومها بالشعور الديني.

وهذا الحي بيوته من لبن الآجر ذات سقوف حمر في مظهر لا بأس به على وجه العموم.

وذكروا أن تجميل البيوت هو بأمر من البلدية التي تحافظ على سلامة الذوق العام فلا تدع بيتاً يبقى في حالة زرية أو غير لائقة، بل تلزم أهله بتحسينه مثلما أنها لا تدع السيارات المهشمة أو ذوات المظهر السيئ تسير في الشارع إلا إذا كان ذلك في الطريق إلى محل إصلاحها.

مع الأخ محمد أنجليوين في ضاحية تطل على البحر في فوردوفرانس

وتشرف على هذا الحي التلال الخضر المرصعة بالبيوت الجميلة ذوات السقوف الحمر بعضها مطلي باللون الوردي الخفيف وبعضها باللون البرتقالي، وهذه البيوت هي أبنية عديدة ذات طبقات متعددة بنتها الحكومة للإسكان الشعبي وتؤجرها بأجرة معتدلة إلا أنهم يقولون: إنها أقل من أن تسد حاجة الناس.

مجلس المنطقة:

والمنطقة هنا هي الوحدة الإدارية الصغيرة داخل بلدية المدينة الكبيرة فهي أشبه بالحي ومع ذلك رأيناهم جعلوا لكل منطقة أو لنقل لكل حي مجلساً خاصاً به ينتخب أهل الحي من يرونه أهلاً لعضويته حسب ما يرونه أصلح لذلك.

ومجلس المنطقة مبنى جيد متميز غير بعيد منه مبنى المكتبة العامة في المدينة.

ومن عجب أن يعتني الأوروبيون ومن لف لفهم بالمكتبات التي يراد بها خزائن الكتب ونغفلها نحن الذين كنا أول من اعتنى بها العناية الكاملة حتى كان أمراؤنا وأثرياؤنا في القديم ينشئون خزائن الكتب ويجلبون لها الكتب من أنحاء العالم، بل ويوظفون الكتبة المشهورين بجمال الخط وضبطه لنسخ الكتب التي لا يتيسر لهم شراؤها وحفظ نسخها في تلك المكتبات، ويوقفون الأوقاف الكثيرة من الأراضي الزراعية والعقارات على خزائن الكتب تلك، ويمكن أن يأخذ المرء مثالاً حياً على ذلك بالمكتبة الظاهرية في دمشق المنسوبة للسلطان الظاهر بيبرس ملك مصر وسوريا وما ألحق بهما في القرن السابع الهجري.

مع أن إنشاء خزائن الكتب في الوقت الحالي هو أهون مؤنة وأقل نفقة من إنشائها في الماضي، لتيسر وجود الكتب وجلبها ووجود المؤسسات الحكومية التي يمكن أن ترعى تلك المكتبات مثل وزارات الثقافة وإدارات المتاحف والمجالس البلدية.

وقد أخبرني الشيخ الإمام (حبيب أمباكي) أن المكتبة العامة حافلة بالمراجع العلمية النادرة وأنه يذهب إليها كثيراً من أجل الاستفادة بما فيها من الكتب، مع أنها مكتبة إقليمية في جزيرة تسبح في مياه البحر الكاريبي وتكاد تتيه فيها.

وقال: لقد أهديناها كتباً إسلامية بالفرنسية مترجمة من العربية لأن الناس يريدون الإطلاع على مثل هذه الكتب والمراد بذلك أن المملكة بعثت إليها بتلك الكتب ووصلت إليها عن طريق الجمعية الإسلامية في المارتنيك.

ومقابل للمكتبة العامة ومجلس المنطقة حديقة ظليلة الأشجار في وسطها تمثال (جوزفين) زوجة نابليون، وقد كسر الاستقلاليون الذين كانوا يطالبون باستقلال البلاد عن فرنسا رأس التمثال، إلا أنهم ضعفوا وصاروا لا شأن يذكر لهم.

وبجانب الحديقة مكتب الحاكم العام لجزيرة مارتنيك وهو يعين من فرنسا، أسوة بحكام المقاطعات الفرنسية، ثم مررنا بالوسط التجاري للمدينة وهو مغلق الآن.

أوبتال كلارا وقصة إسلام رئيس الجمعية:

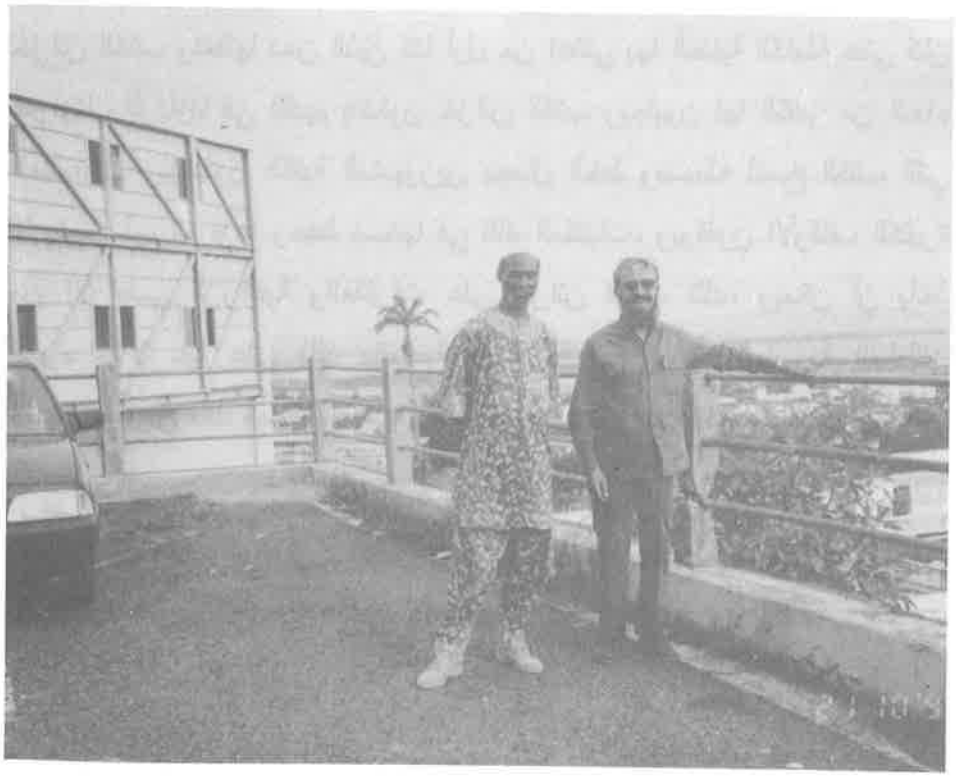

مع الأخ محمد أنجليوين عند مستشفى كلارا الذي خُتن فيه

أي مستشفى كلارا ومع أن هذا المستشفى متميز بموقعه الممتاز المرتفع الذي يطل من علو على البحر وعلى معظم مدينة فوردوفرانس فإن هذا ليس هو الذي حملني على تخصيص عنوان له، ولكن لكونه شهد ختان أول مسلم من أهل هذه البلاد الأصلاء وهو مرافقنا الأخ (محمد إنجيلوين) رئيس الجمعية

الإسلامية في المارتنيك فقد أجمع كل من لقيناه من المسلمين هنا على صلاحه وصدق تدينه وإخلاصه في العمل لذلك ذكر لنا أنه أول مسلم يسلم من أهل هذه البلاد، وأنه كان سمع بالأذان لأول مرة في حياته عندما كان يعمل في الجيش الفرنسي في الجزائر، فاسترعى ذلك انتباهه إلا أنه لم يسأل عنه.

قال: وعندما ذهبت إلى جيبوتي مع الجيش الفرنسي سمعت الأذان مرة ثانية، فسألت عنه فأخبروني بمعناه وأنه نداء للصلاة.

قال: فمالت نفسي إلى المزيد من الإطلاع على الدين الإسلامي فأشتريت كتباً إسلامية بالفرنسية وصرت أطالعها.

قال: ثم تعرفت على زوجتي في جيبوتي فخطبتها إلى أهلها فأخبروني أنه لا يجوز أن أتزوجها إلا إذا دخلت في الدين الإسلامي، قال: فأعلنت إسلامي وأثبت ذلك في المحكمة الشرعية في جيبوتي ثم تزوجت، ولم أكن أول الأمر ملتزماً بشرائع الدين الإسلامي الحنيف، وذلك لقلة معرفتي بالدين الإسلامي، إلا أنني أخذت أزداد محبة لهذا الدين ورغبة في الالتزام به، حتى ذهبت إلى هذا المستشفى وطلبت أن أختن الختان الشرعي، قال: وبعد أخذ ورد ختنوني وأنا كبير فيه وكنت أول مسلم من أهل البلاد الأصلاء يختن في هذا المستشفى.

قال: وختنت ابني علي في هذا المستشفى أيضاً وعمره سبع سنين، أما ابنه ياسين فإنه ولد في جيبوتي وختن هناك وهو صغير.

وقصة ختان الأخ (محمد انجليوين) لا تقل غرابة عن قصة تغيير اسمه إلى اسم إسلامي وهو محمد، فقد تقدم إلى المسئولين في الحكومة وذكر لهم أنه دخل في الدين الإسلامي، وأنه يريد أن يكون له اسم إسلامي، قال: فمانعوا في ذلك وقالوا: لا نرى أن تغير اسمك لأنه يترتب عليه أشياء كثيرة ونستطيع أن نجعل لك اسماً إسلامياً غير رسمي، فأبى ذلك ووكل محامياً شهيراً جمع له من النقود ما احتاجه على قلة ذات يده لكونه موظفاً ذا أسرة مؤلفة من ثلاثة

ذكور وابنته وزوجته، ولكن المحامي تأثر من صدقه في إسلامه وإخلاصه له، فبذل جهده حتى غير اسمه رسمياً إلى (محمد) في جميع الأوراق القانونية المتعلقة به وبأولاده.

إن الأخ (محمد انجليوين) رجل تظهر طمأنينة الإيمان على وجهه وقد حدث أنه عندما كان وابنه ياسين الذي يدرس اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج على نفقته، قال: فجعلت أنا وابني ياسين وكنا محرمين كل ما لدينا من نقود وأوراق في حقيبة صغيرة لا أدري كيف فقدناها في المسجد الحرام، وجهدنا في البحث عنها فلم نوفق، وكان أول ما فعلته أن ذهبت إلى الشرطة فأبلغتهم بذلك فطلبوا مني أن اكتب بذلك كتاباً كالعادة.

قال: وقالوا لي: إن وجدناها أخبرناك، قال: وكان كل من عرف بذلك آيسني من عودة الحقيبة لأن المسجد الحرام مزدحم بالحجاج من جميع الأجناس.

قال وبت ليلة في المسجد الحرام فنمت وأنا مشغول الخاطر فرأيت فيما يرى النائم أن رجلاً يقول لي: أذهب إلى مكتب الأمتعة الضائعة، وسوف تجد حقيبتك فيه، قال: فذهبت في المنام فوجدتها في رف داخلي في المكان على كثرة الحقائب.

قال: ولما أصبحت جزمت بأن رؤياي حق فذهبت إلى الشرطة وقلت لهم: إنني أريد أن أبحث عن حقيبتي بين الأمتعة الضائعة الموجودة لديكم، قال: فمكنوني من ذلك فلم أجدها إلا أن المكان الذي فيه رف لم أره فقلت للضابط المناوب: إنني رأيتها في المنام في مكان صفته كذا فيه رفوف فيها حقائب وأمتعة، فهل لديكم مثل هذا، فقال الضابط: نعم، وأراني إياه فوجدت حقيبتي فوق الرف لم يذهب منها شي ولم تفتح، وكما وصفها لي الواصف في الرؤيا.

مع الأخ عبدالسلام الزواوي في أحد المنحدرات
فـــي فوردوفرانـــس عاصمـــة المارتنـيك

كان يرافقنا في هذه الجولة الآن الأخ عبدالسلام الزواوي وهو شاب جزائري حصيف أخذناه من محله في الوسط التجاري ذكر لي أن متحفاً عندهم يوجد فيه مخلفات الأناسي والأمتعة التي طغى عليها البركان في عام ١٩٠٢ كما سبق، قال: ومن ذلك أن بعض الأيدي الآدمية لا تزال في المتحف محاطة بالمواد البركانية التي تشبه الحديد المذاب.

وكنت أحرص على زيارة مثل هذه المتاحف غير أن الوقت يدهمنا وبرنامج رحلتي في الكاريبي قد خصصته لعشرة أقطار سبعة منها مستقلة واثنان تابعان لفرنسا وهما المارتنيك و(قوادي لوب) وثالث تشترك في إدارته دولتان هما فرنسا وهولندا وهو (سانت مارتن).

ميناء العصفور الوردي:

استمتعنا باستجلاء المناظر الجميلة من شرفة بل شرفات في مستشفى كلارا حيث يطل على منطقة ساحلية اسمها الفرنسية من جهة وعلى أحياء من أحياء العاصمة من جهة أخرى، والتقطت لذلك كله صوراً ترى بعضها هنا.

مع عبدالسلام الزواوي في ميناء العصفور الوردي في فورت دوفرانس

ثم نزلنا إلى جهة البحر حيث وقفنا على ميناء للقوارب اسمه (العصفور الوردي) وبالفرنسية (لابي فلاما) لهذا المعنى، وهو الان ميناء للقوارب وحوض لإصلاحها، وقد اشتهر باسم العصفور الوردي لكون نساء هذه الجزيرة كن يستقبلن البحارة فيه الذين ينزلون من سفنهم في الجزيرة.

ونظراً لما يوحي به استقبال النساء للبحارة خاض المرافقون في الحديث عن العلاقة بين الرجل والمرأة في هذه الجزيرة فذكروا أنه لا توجد لها حدود رسمية ولا عرفية، وذلك لكون أهل البلاد لم تكن لهم ثقافة دينية تمنعهم من

مثل هذه الأمور، وعندما جاء الفرنسيون وهم معروفون بالانحلال في هذا المجال زادوهم انحلالاً على انحلال.

وقالوا لنا وإن كنت أظن أنهم قد بالغوا في ذلك: إن نسبة الأطفال الذين يولدون خارج نطاق الزوجية يزيد على النصف أي يزيد على ٥٠% من مجموع المواليد في البلاد، وذكروا أن المرأة تفضل أن يأتيها ولد من غير أب معروف في عقد مكتوب لكون الحكومة تمنحها مساعدة مالية شهرية لتربية الطفل، وذلك بخلاف ما إذا كان له أب فإنه يكون ملزماً قانوناً بأن ينفق على ابنه وقد يكون لا يقدر على ذلك، أو لا يريد أن ينفق عليه في بعض الحالات قالوا: وحتى المتزوجون يكون لأكثرهم معرفة بأكثر من امرأة.

فقلت لهم: إن هؤلاء القوم وأضرابهم من الأوروبيين والمتثقفين بالثقافة الأوروبية يأخذون على الدين الإسلامي أنه يبيح تعدد الزوجات، وهم يمارسون ذلك بإقرارهم وشهادتهم إلا من ندر.

المؤلف في منطقة تطل على ميناء العصفور الوردي في فورت دو فرانس

مع أن الإسلام يحفظ حقوق الزوجة الثانية بل يجعل لها من الحقوق ما للزوجة الأولى ولأولادها من الرجل كذلك، بخلاف المرأة التي يتصل بها الرجل عندهم خارج الزواج فإنها لا تكون لها حقوق قانونية كحقوق الزوجة ولا ضمان لأولادها منه.

العودة إلى المركز الإسلامي:

عدنا إلى المركز الإسلامي مسرعين، وذلك قبيل الساعة الرابعة فصليت الظهر والعصر جمعاً فيه، وصلى الإخوة المرافقون صلاة العصر، لأنهم كانوا قد صلوا الظهر في وقتها.

ثم ذهبنا إلى بيت الأخ الوجيه محمود منصور (أبوناصر) من أجل توديعه لأنه كان قد خرج لاستقبالي مع المسلمين في المطار ثم توالى إكرامه لي بعد ذلك.

فجلسنا عنده قليلاً وودعناه إلا أنه أبى إلا أن يخرج معي للمطار.

مغادرة المارتنيك:

خرجنا بعد الرابعة بقليل إلى المطار وهو قريب والإجراءات فيه سهلة ثم ودعت الإخوة المودعين جزاهم الله خيراً، ودخلت قاعة الترحيل الكبيرة.

وكانت المفاجأة أن الطائرة التي سوف نسافر عليها هي مروحية صغيرة ذات محركين.

إلى باربادوس

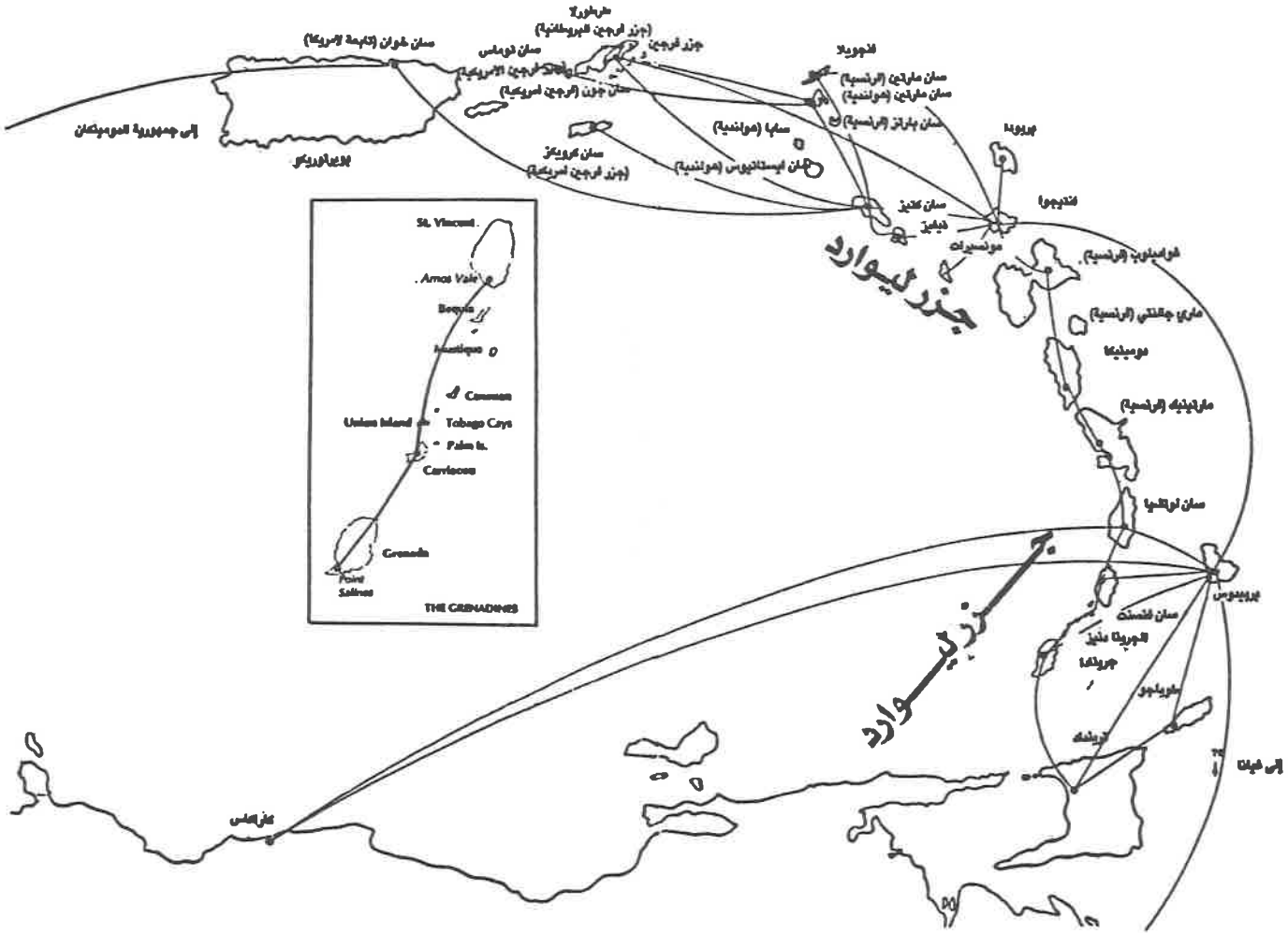
جزر فيرجن البريطانية
سان خوان (بورتوريكو)
سان توماس
سان جون (فرجن امريكية)
جزر فرجن
انجويلا
سان مارتن (فرنسية)
سان مارتن (هولندية)
سان بارتز (فرنسية)
سابا (هولندية)
سان اوستاتيوس (هولندية)
سان كريوكاز
(جزر فرجن امريكية)
بربودا
انتيجوا
سان كتيز
نيفيز
مونسيرات
جزر ليوارد
غوادلوب (فرنسية)
ماري جالنتي (فرنسية)
دومينيكا
مارتينيك (فرنسية)
سان لوشيا
بربيدوس
سان فنسنت
الجرينا ندين
جرينادا
ترينداد
جزر ويندورد
إلى جمهورية الدومينيكان
الاخاورياكر
كراكاس
إلى غيانا
St. Vincent
Arnos Vale
Bequia
Mustique
Canouan
Union Island
Tobago Cays
Palm Is.
Carriacou
Grenada
Point Saline
THE GRENADINES

باربادوس:

باربادوس هي أقصى جزر البحر الكاريبي من جهة الشرق، ومناخها صحي لطيف تزيده لطافة نسمات البحر التي تهب باستمرار.

وقد سمى البرتغاليون الجزيرة باسم لوس باربادوس LOS BAR BADOS مشتقين ذلك من تسمية أشجار التين التي تشبه اللحى جمع لحية والتي كانت تنمو فيها في ذلك الوقت.

وعدد سكان باربادوس (٢٥٧٠٠٠) نسمة.

وباربادوس التي تتألف في مجملها من تكونات مرجانية وتحيط بها شواطئ طويلة مغطاة بالرمل الأبيض تبلغ مساحتها ٢١ ميلاً أي ٤٣ كيلومتراً طولاً و١٤ ميلاً (٢٣ كلم) في أعرض نقطة فيها وهي في الغالب مسطحة الشكل ولكنها أيضاً تتمتع بشواطئ جميلة مختلفة وريف تزينه التلال المغطاة بأشجار قصب السكر.

وتعتبر مدينة (برج تاون) العاصمة المركز التجاري الرئيسي في الجزيرة، كما أنها أكبر ميناء وأكبر مدينة فيها وهي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة، وسانت مايكل حيث يوجد شاطئ باراديزبيتش الرائع الذي ليس له مثيل في المنطقة.

ويظل ميدان الطرف الأغر في نهاية شارع برود BROAD STREET الشارع الرئيسي في العاصمة ومركز التسوق فيها من أكثر المناطق نشاطاً طوال العام.

وقد بنيت أول كنيسة في باربادس- وهي كنيسة سانت جيمس- مباشرة بعد وصول الإنجليز إلى الجزيرة، واستبدل الهيكل الخشبي الأول للكنيسة ببناء أكبر ملائمة كتب عليه تاريخ عام ١٦٨٤م.

وترتبط هذه الجزيرة التي عاصمتها هي مدينة برج تاون بأمريكا وبريطانيا بخطوط جوية ذات رحلات منتظمة

والصيف يطغى على كل شهور السنة في الجزيرة التي تتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ٢٢ إلى ٢٨ درجة مئوية، ونادراً ما تنخفض إلى أقل من ٢٠ درجة ولا ترتفع إلى أكثر من ٣١ درجة.

الخلفية التاريخية:

الرقيق الأفارقة الذين أحضروا لأمريكا الشمالية والبحر الكاريبي هم أولى المجموعات البشرية التي وضعت أقدامها على أرض الجزيرة، فلم تكن من مواطن السكان الأمريكيين الذين يسمون بالهنود الأمريكيين إلا أن الظروف القاسية التي عاناها أولئك الرقيق ورغبة مالكيهم أدت إلى تنصيرهم، وبذلك قضي على وجود من كان مسلماً ومحي وجود الإسلام في الجزيرة.

هاجر لاحقاً الهنود المسلمون الآسيويون لهذه الجزيرة وبدءوا نشاطاً إسلامياً جاداً في عام ١٩٥٩م، تحت قيادة الشيخ محمد بن إبراهيم ديقيا ثم أتى الجزيرة لاحقاً المهنيون المسلمون والتجار واستقر الرأي على إنشاء المركز الإسلامي للتدريب عام ١٩٧٩م بغرض تقديم الإسلام لغير المسلمين ونشر الكتاب الإسلامي من خلال تأسيس مكتبة إسلامية.

وضع المسلمين في باربادوس:

المؤلف مع بعض الإخوة المسلمين الجدد في باربادوس

يبلغ عدد المسلمين فيها ١٩٥٠ من جملة سكان الجزيرة البالغ عددهم ٢٥٥٠٠٠ حيث تبلغ نسبتهم أقل من ١% من السكان ٨٠% من المسلمين من أصول هندية آسيوية وأغلبهم من منطقة كجرات في غرب الهند ويقال: إن أول مسلم أقام في الجزيرة من ذوي الأصول الإفريقية كان في عام ١٩١٠م، ولكن لا يوجد دليل على ذلك.

ويقطن المسلمون عاصمة البلاد وقرب المسجدين القديمين، وليس للمسلمين هنا أحزاب سياسية ووضعهم الاجتماعي طيب بعض الشيء لاسيما وسط جماعة الهنود.

أما الجماعات المنحدرة من أصول أفريقية فظروفها الاقتصادية سيئة وليس لدى المسلمين مؤسسات اقتصادية كافية، والمسلمون موجودون الآن بين أرباب المهن الراقية كالطب والهندسة والمحاسبة وغيرها.

وأول مسجد بني في جزيرة باربادوس كان في عام ١٩٥١م، ولم يكن فيها قبل ذلك أي مسجد، رغم كون المسلمين الهنود وصلوا إلى الجزيرة أول ما وصلوا في عام ١٩٢٠م، واليوم فيها أربعة مساجد زرتها ووصفتها في اليوميات.

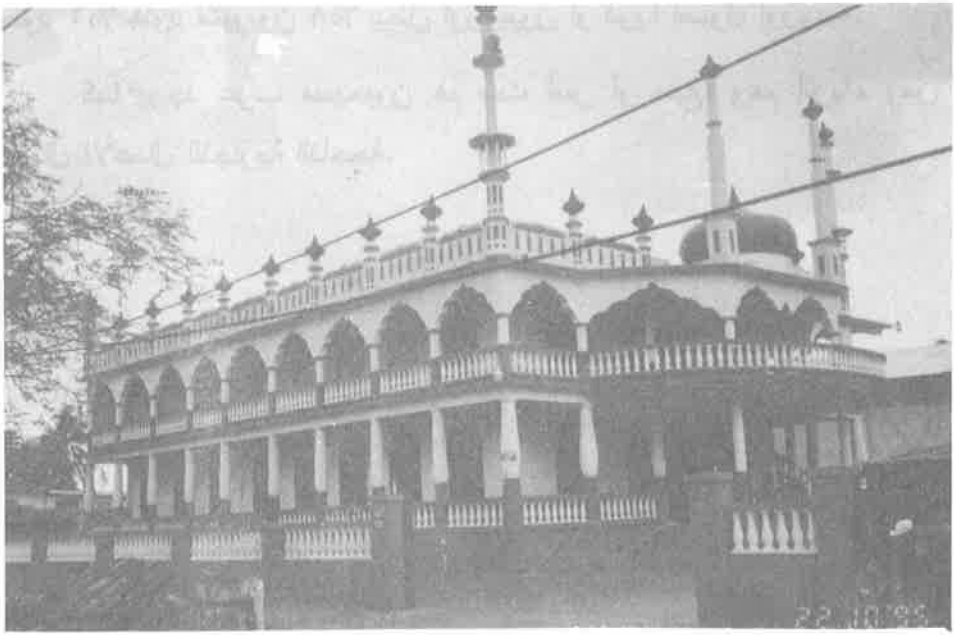

أول مسجد في برج تاون عاصمة باربادوس وعمارته الجديدة

وجميع المسلمين الذين اجتمعت بهم وتحدثت إليهم في شئون الإسلام والدعوة في البلاد أخبروني بأنهم أحرار في الدين وأنه لا أحد يمنعهم من الدعوة والإرشاد، كما أنهم لم يذكروا أي عداء لهم من أكثرية السكان من ذوي الأصول الإفريقية، بل الجميع ينظرون إليهم نظرة معتادة، وأحياناً نظرة فيها الصداقة والتعاون وربما صح القول بأن جميع الطوائف هنا تشعر بالشعور نفسه، إذ تسودها الأخوة وعدم الاضطراب.

مع العلم بأن العنصرين الأساسيين في البلاد هما العنصر الإفريقي الكاريبي الذي كان أسلافه جلبوا عبيداً لزراعة قصب السكر ثم تحرروا، الثاني: الأصول الأوروبية من البيض ثم تأتي الأقلية الهندية الآسيوية، وسوف يأتي في اليوميات كلام موسع عن المؤسسات الإسلامية التي سنزورها في الجزيرة بإذن الله.

ويلاحظ أن معظم الهنود الآسيويين في (باربادوس) هم من المسلمين.

وينقسم السكان الذين يبلغ عددهم ٢٥٧ ألفاً إلى العناصر التالية: ٩٠% سود ١% هنود آسيويون ٨% بيض أوروبيون أو ذووا أصول أوروبية.

كما يوجد عرب مسيحيون هم ست أسر أو سبع، وهم أثرياء ومن رجال الأعمال التجارية الناجحة.

من فورت دو فرانس إلى باربادوس:

كنت جالساً مع الجالسين قبالة البوابة الثانية في مطار فوردوفرانس الذي فيه بوابات عديدة لخروج الركاب إلى الطائرات، فنادوا علينا معشر الركاب المسافرين إلى باربادوس، ولم يكونوا في الحقيقة بحاجة إلى ذلك لقلة عدد الركاب، ونزلنا مع درج إلى ساحة وقوف الطائرات في الخامسة والربع، حيث صعدنا طائرة صغيرة ذات محركين اثنين، فكان ذلك مفاجأة لي كما كان الركاب الذين ركبوا معي بمثابة المفاجأة أيضاً، فكلهم إفريقي الأصل وأغلبهم من العجائز

وذكرت مرة قديمة نزلت فيها في مطار باربادوس هذا الذي نقصده الآن ولم أدخل الجزيرة وكنت قادماً من لندن، إلى ترينداد، فنزلت الطائرة العملاقة التي كنت راكباً معها وهي من طراز بوينغ ٧٤٧ في مطار باربادوس قبل أن تقلع مرة ثانية إلى (ترينداد).

أما هذه الطائرة الصغيرة التي أركب فيها الآن فإن عدد مقاعدها هو ٢٨ مقعداً فذكرتني- أيضاً- بعهد قريب حيث كنت في جنوب جمهورية روسيا الاتحادية ولا طيران بين ولاياتها التي تسميها أحياناً الجمهوريات واحياناً بالأقاليم إلا طائرات صغيرة من ذوات المحركين مثل المسافة من مدينة (قازان) عاصمة جمهورية تتارستان إلى مدينة (أورنبورج) عاصمة إقليم اورنبورج ثم منها إلى مدينة (سمارا) عاصمة إقليم سمارا، إلا أن الفرق واضح بين الطائرتين الصغيرتين هنا وفي روسيا.

فالطائرات الروسية المذكورة ليس في جيوب المقاعد فيها أي شيء مما يقرأ أو يستدل به على شيء فهي خالية تماماً حتى ورقة الإرشاد للهبوط الاضطراري أو الورقة التي تدل على نوع الطائرة أو اسم الشركة، ولا يضعون فيها صحفاً ولا مجلات، وأذكر أن مضيفة روسية في إحدى تلك الطائرات أحضرت معها صحيفة صغيرة محلية فصارت تبيع نسخها بيعاً على الركاب ومن لم يدفع لم يستطع أن يطلع على الصحيفة.

أما هذه الطائرة (الكاريبية) الصغيرة فإن جيوبها غنية بذلك ففيها مجلة الشركة التي تتبعها الطائرة وهي شركة (ليات) وهي مجلة دسمة فيها معلومات وإعلانات عن أقطار المنطقة التي هي جزر كلها ماعدا جمهوريتي الدومينكان وهايتي حيث تؤلف كل واحدة منهما جزءاً من جزيرة هسبنيولا وليس كل الجزيرة.

وفي جيوب المقاعد فيها أيضاً صحيفة محلية بالإنكليزية عنوانها (سن اوف ساترداي) أي شمس السبت وتصدر في باربادوس وعنوانها الرئيسي (الوزارة كلها ذهبت لمكافحة البعوض) وفي جيوب الطائرة أيضاً معلومات عن هذه الطائرة الصغيرة ذكرت فيها أنها من طراز (داش ٨).

إضافة إلى التنجيد الجيد والعناية الظاهرة بخلاف الطائرة الروسية الصغيرة تلك فليس فيها حتى طاولة الطعام التي تكون على ظهر المقعد لأنهم لا يقدمون فيها أي طعام للركاب.

وفي هذه الطائرة الصغيرة مضيفتان خلاسيتان، والخلاسي هو الذي لونه بين الأبيض والأسود، والأهم من ذلك أن لغة الجميع هنا في الطائرة هي الإنكليزية التي أفهمها بخلاف اللغة الروسية التي لا يفهم الناس غيرها في روسيا.

وقد بدأوا بإذاعة التعليمات التي هي مسجلة ثم أعلنوا بيان الرحلة باللغتين الفرنسية لغة البلاد التي نغادرها والإنجليزية لغة البلد الذي سنذهب إليه.

وقامت الطائرة من مطار فوردوفرانس في الخامسة والنصف تماماً، وهو الموعد المحدد لقيامها في الأصل دون تأخير.

وقد أعلنوا أنهم سيذهبون أولاً إلى جزيرة (سانتا لوسيا) ومنها إلى باربادوس.

نهضت من فوق جزيرة المارتنيك الخضراء الأنيقة المنسقة وظهرت أخوارها وهي الداخلة من مياه البحر في اليابسة جميلة تكاد خضرتها تضيع بين خضرة الغابات وكثافة الأعشاب الخضر، ورأيت بعضها على هيئة موانئ هلالية الشكل.

وقد اقترن ساحلها القريب بالبعيد في النظر بسرعة لضيق ما بينهما في رأي العين.

وما أجمل منظرها في مثل هذه الساعة التي ولت الشمس فيها بحرها وأقبل الليل برطوبته التي تحركها نسمات البحر الهادئة، هذا ما كنت أحسست به أمس.

وقد تطفلت سحابات كاريبية علينا فحاولت أن تحول بيننا وبين رؤية صفحة هذا البحر الكاريبي الأخضر، كما حال الغربيون بين أهل الكاريب وبين الحياة فأفنوهم إلا قلة منهم اعتصمت بجبال من جبال جزيرة دومينكا الوعرة.

وقد أقبلنا على فضاء جزيرة سانتالوسيا، حيث أبصرنا شاطئها على البعد بعد أن أقلعت الطائرة من مطار المارتنيك بعشر دقائق، وقد بدت الجزيرة خضراء بجانبها جزر صغيرة تخشى عليها من أن تنزلق في البحر فتتيه فيه كما تاه أقوام من بني قومنا في تيه السياسة، وعدم الكياسة فضاعوا وأضاعوا.

ووصلنا إلى المطار الواقع على البحر مما يلي جهتنا بسرعة فكان منظر البيوت البيض ذات السقوف الرمادية وسط خضرة التلال لافتاً للنظر.

وأعلنوا بالإنكليزية وحدها والطائرة تهبط في مطار صغير في الخامسة والدقيقة الثانية والأربعين بعد طيران لم يستغرق أكثر من ١٢ دقيقة.

وجزيرة (سانتالوسيا) دولة مستقلة بمفردها وسوف أذكر ما سأشاهده فيها عند الوصول إليها وربما يكون في كتيب غير هذا الكتاب[١].

في مطار سانتا لوسيا:

المطار صغير فيه أعداد كبيرة من الطائرات الصغيرة لاشك في أنها تستعمل للتنقل ما بين جزر بحر الكاريب الصغيرة، وقد استقبل الطائرة عدد من الموظفين كلهم أسود حالك السواد وكأنهم لا يزالون في القارة الإفريقية.

---

(١) كان ذلك في كتاب مستقل عنوانه (سانتا لوسيا، وقرينادا، ودومينكا) طبع ونفدت نسخه.

وتقدم إلى الطائرة عاملان يدفعان عربة كبيرة باليد فيها أمتعة الركاب الجدد، وعامل أسود آخر يجر عربة خالية ليضع فيها أمتعة الركاب القادمين.

وقد ذكرت أن منظر مثل هذه العربة التي تدفع باليد كان يريحنا في روسيا لأن معظم مطاراتها التي تسير الرحلات الداخلية هذه لا تنقل أمتعة الركاب من الأرض إلى الطائرة وبالعكس، بل تدعهم يفعلون ذلك بأنفسهم فكنا نجاهد في حمل حقائبنا وأمتعتنا ثم جرها إلى الطائرة ورفعها فيها عند الركوب ثم إنزالها وجرها عند الوصول.

وقد لقينا من ذلك عنتاً، ثم ذكرت أنني الآن في بلاد السود الكاريبيين الهنديين، ولست في بلاد الأجلاف من الروس البيض الأوروبيين.

وقد رأيت من لطف السود من سكان هذه المنطقة، وحسن معاملتهم للغريب، حتى وإن لم يكرموه أو يريدوا ذلك في المارتنيك ثم في الجزر والأقطار الأخرى بعد ذلك ما أدهشني مثلما أدهشني سؤ معاملة الروس للإنسان وخشونة المعاملة عندهم.

وربما كان مرجع ذلك إلى التربية الشيوعية التي نزعت المثل العليا في المعاملة من النفوس، و جعلت قصارى هم كل شخص أن يعتني بنفسه حتى يحصل على الضروريات للحياة.

وقد شدني شيء في هؤلاء الركاب السود إلى ذكريات أفريقية قديمة، فقد كانت القارة الإفريقية أولى القارات التي ذهبت إليها راحلاً متجولاً حيث كتبت كتابي الأول في الرحلات (في إفريقية الخضراء) ثم كتبت بعده ١٣ كتاباً عن إفريقية طبع منها ٨، وذلك بأن لأجسام الأفارقة رائحة مميزة إذا كان الشخص منهم بعيد عهد بالاغتسال والتنظف، أو أصابه العرق عند ركود الهواء، وهنا ركد الهواء داخل الطائرة عند الوقوف فكان لأجساد الركاب النازلين والصاعدين رائحة كالرائحة التي تشمها من بعض الإفريقيين تماماً.

وقد نزل أكثر الركاب وركب أربعة من السود وزوجان أبيضان يظهر أنهما من السائحين فكان مجموع ركاب الطائرة غيري ثمانية.

وأقلعت في السادسة إلا خمس دقائق، ولم يستغرق وقوفها في مطار سانتا لويس إلا ١٣ دقيقة.

وقد حل الظلام فمنعني من التمتع بالمنظر بعد الإقلاع.

وبعد أن أقلعت جاءت المضيفة بالمشروبات تبيعها بيعاً على الركاب، وكان الطيران فوق ظلمات البحر.

في مطار باربادوس:

لاحت لنا أنوار جزيرة باربادوس ساطعة على البعد ممتدة امتداد شاطئ الجزيرة على البحر مع أن شاطئها يدور دوران الجهات الأربع لأن البحر محيط بها كلها.

وقد تميزت أنوار عاصمتها (برج تاون) بتلالؤ أنوارها أكثر من غيرها.

وعندما قربنا منها بدت أكثر جهات الجزيرة مضيئة مما يدل على انتشار المساكن فيها وإن لم تشغلها كلها.

ولاحظت فيها طرقاً مستقيمة مضاءة باللون الأصفر، وهي التي عرفت الآن بالهاي وي ولكنها غير مستقيمة وقليلة العدد.

هبطت الطائرة في مطار (باربادوس) في السادسة والدقيقة الثانية والعشرين بعد طيران استغرق ٢٧ دقيقة.

وبدا المطار كبيراً ممتد المدارج واسع الساحة وإن كانت أنواره ليست ساطعة، وفوجئت بأن رأيت مبنى المطار كبيراً متسعاً ممتداً لمسافة طويلة فهو أوسع من مطار المارتنيك وأطول، إلا أن ذلك أحدث وأجمل.

وقاعة الوصول واسعة جداً بل ضخمة فيها مكاتب الجوازات عديدة بعدها سيور الأمتعة والمكس (الجمرك) وحجز الفنادق.

لم أوجس خيفة تتعلق بسمة الدخول إلى باربادوس فالشركة التي قمت معها كانت أبرقت لحكومة باربادوس بأنني سأتوجه معها وأنني لا أحمل في جوازي سمة دخول إلى البلاد، فأجابوا بالموافقة، كما أن جوازي (دبلوماسي) والجواز (الدبلوماسي) السعودي يحظى بعظيم الاحترام حتى بالنسبة إلى البلدان البعيدة.

وكانت مكاتب الجوازات مقسمة على الفئات فيها مكاتب لمواطني باربادوس، وأخرى للمقيمين فيها إقامة طويلة دون الحصول على جنسيتها (ريزدنت) ومكتب كتبوا عليه أنه للدبلوماسيين.

عندما وقفت أمام الضابط في هذا المكتب قال لي: أنت فلان؟ وذلك لكون شركة الطيران قد أخبرتهم بوصولي على هذه الرحلة.

وكنت تركت المكان الذي سأنزل فيه خالياً في استمارة القدوم التي ملأتها، وإن كنت ذكرت أنني سأنزل في فندق، وذلك لكوني لا أعرف فندقاً بعينه، واعتماداً على أن الأخ الإمام سليمان بلبليه سيستقبلني هو أو مندوب عنه في المطار ويذهب بي إلى الفندق الذي يراه مناسباً، ولكن ضابط الجوازات أصر على أن أذكر الفندق الذي سأنزل فيه، وقال لي: دع جوازك عندي وأذهب إلى مكتب الفنادق في الداخل ثم احجز وأخبرني.

وجدت في المكتب امرأة سوداء سمحة في منتصف العمر فحجزت في فندق اخترته لموقعه واعتدال سعره، وعدت إلى الضابط فوجدته قد ترك مكتبه ومعه جوازي وفي مكتبه خمسة من الضباط، فيهم واحد كبير الرتبة وكلهم يتأمل الجواز، وقال كبيرهم: لماذا جئت إلى هنا؟

فقلت: لقد ذكرت أنني سائح كنت في المارتنيك فأحببت أن أزور بلادكم وأتعرف عليها لمدة يوم أو يومين، فقال لي وقد أبعد عنه بقيتهم: أريد منك نقوداً.

فقلت له: كم؟ قال: ٢٥٠ دولاراً بربادوسياً ويساوي الدولار البربادوسي نصف دوار أمريكي بالضبط.

فقلت له: إن جوازي (دبلوماسي) وقد جرت العادة أنه لا تؤخذ رسوم من حامله على منحه سمة الدخول وهنا اقترب الضباط الآخرون فغير من لهجته، وقال وهو يمد يده إلى حقيبتي اليدوية ويقول: هذه ملآنة ذهباً، ثم يقول: قولد، قولد، أي ذهب، ذهب، والآخرون يسمعون، ولم يجرو على أن يقول: افتحها وأنا لا أريد أن يفتحها لأن فيها نقوداً و(شيكات) سياحية تزيد على خمسين ألف دولار.

فقلت له: إنه ليس فيها ذهب، ولو كان عندي ذهب لما وضعته فيها وأنا مسافر، فقال: شيخ عربي عنده ذهب!!.

لقد كان لهذه الكلمات وقع سيئ في نفسي، لأن تهمة حمل الذهب أو حتى ما يؤدي مؤدى الذهب من النقود الأخرى هي خطيرة قد يترتب عليها إلحاق الضرر بحاملها عن طريق الاعتداء عليه ليس بالنهب والسلب وإنما قد يكون بالقتل أو التغييب لمدة معينة لئلا يبلغ عن الجانين قبل أن يتصرفوا بنقوده.

وقد حضر ضابط الجوازات الأول ومعه جوازي مختوماً بسمة دخول (دبلوماسية) مجانية منهم، وأردت أن أذل هذا الضابط الكبير أمام زملائه ومرؤسيه فأعطيته مائة فرنك فرنسي، فقال لي و هو يتصنع الضحك، لماذا؟

فقلت: إنها التي طلبت، فارتبك وأبى أن يأخذها غير أن أحد زملائه أخذها وهو يقول لي: شكراً.

ذهبت أبتغي حقيبتي فوجدت أن الركاب الذين كانوا معي وهم قلة قد غادروا ولم يبق غيري، فانتابتني الهواجس، وبخاصة أن كلمات الضابط لا تزال ترن في أذني حينما كان يمد يده إلى حقيبتي ويقول: ذهب، ذهب، ولكنني قلت: إنني سأجد من يستقبلني خارج القاعة.

ولم أقف عند ضابط الجمرك بسبب الجواز (الدبلوماسي) ووجدتني في رصيف الشارع دون أن أرى أحداً يستقبلني، وليس هناك إلا سيارة أجرة أهلها كلهم كسائر أهل هذه البلاد من السود.

فقلت لهم أريد أن أجعلهم يشعرون أنني لست وحدي، إن أحدهم ذكر أنه يستقبلني، فقالوا: لا أحد هنا الآن فركبت مع أحدهم بثلاثة وعشرين دولاراً إلى فندقي وهو أسود أثرم، والأثرم هو الذي سقطت أسنانه الأمامية، في حدود الخمسين من العمر.

في مدينة كرايست تشيرتش:

جعلت أتحدث مع السائق بالإنكليزية التي هي لغته الوحيدة فاطمأننت إليه وشعرت بالأمن معه، رغم أن هذه المرحلة مرحلة الذهاب وحيداً في الليل مع سائق لا تعرفه هي أخطر ما في الموضوع كما هو معروف.

أوصلني بسرعة إلى فندقي الذي حجزت فيه من المطار ووجدتهم سجلوا اسمي فأعطيت السائق ٢٥ دولاراً بربادوسياً وتساوي اثني عشر دولاراً أمريكياً ونصف دولار، وهي قليلة بالنسبة لحسن معاملته والمعلومات الصحيحة التي حصلت عليها منه، وقد سر غاية السرور لهذه الزيادة التي حصل عليها مني وهي دولاران من عملتهم.

وجدت في مكتب الإدارة فتى أبيض متغيراً مما يعني أنه ولد في هذه البلاد فتأثر هو بجوها الحار الرطب مما أذهب رونق بياضه وربما كان والداه كذلك.

فأسرع يريني الغرفة التي وجدتها شقة كاملة وليست غرفة منفردة، ثم طلب دفع الأجرة فأعطيته خمسين دولاراً أمريكية فاكتفى بها مع أن الأجرة ٦٥ دولاراً أمريكية، وقال: يمكن المحاسبة على الباقي فيما بعد.

أراني الفتى خزانة حديدية في داخل الغرفة تفتح وتغلق بالأرقام السرية التي لا يطلع عليها إلا صاحبها وأراني كيفية استعمالها، مع أنني قد جربت مثلها من قبل فأودعتها كل ما معي من نقود وجوازي وتذكرتي الطويلة.

لقد زايلني الآن الخوف الذي كنت شعرت به لذا استمتعت بسعة الغرفة المؤلفة من غرفة للنوم واسعة فيها سرير عريض ومكيف عام وأنوار متعددة

تمكنني من القراءة والكتابة في أوضاع مختلفة، وفيها تلفاز ملون مفتوح على عدة قنوات خارجية.

والغرفة تغلق من الداخل رغم أن ما قبلها تابع لها وهو مطبخ مجهز بالغاز وأدوات الطبخ وأدوات صنع القهوة والشاي، وقبله غرفة جلوس واسعة فيها مروحة سقفية، وأنوار ساطعة ومقاعد تكفي لجلوس خمسة أشخاص.

والغرفة في الطابق الأرضي تفتح على ساحة الفندق الداخلية المكشوفة التي فيها بركة زرقاء المياه، وبجانبها مطعم ومشرب رأيت فيه أناساً يشربون، فذهبت أبتغي شراباً من عصير البرتقال الطازج فجاءوا به إلى غرفتي، وذكروا أنه ضيافة من الفندق لا يريدون له ثمناً.

كلمت الأخ سليمان بلبليه الذي كان من المقرر أن يستقبلني في المطار أو يرسل من يفعل ذلك نيابة عنه، فكلمتني زوجته من بيته وهي تعرف الأمر، وقالت: إنه سوف يعود قريباً ويتصل بك.

وقد اتصل بي بالفعل بعد دقائق، وذكر أنه أرسل أحد الإخوة إلى المطار، إلا أنه كلمه من المطار بأنني لم أقدم فطلب منه أن يعود إلى البلد وحده، فأخبرته بما أريده منه وواعدته أن نبدأ العمل صباح غد في السابعة والنصف.

ثم اتصل بي الشخص الذي كان ذهب لاستقبالي في المطار يعتذر بأنه رأى الركاب كلهم خرجوا ولم يبق أحد في قاعة الوصول فعاد إلى المدينة.

ونبين لي أن فندقي اسمه (اوسس) واقع في مدينة (كرايست تشيرتش) التي معناها الحرفي كنيسة المسيح مما أثار في ذهني ذكريات مدينة نائية تحمل هذا الاسم: (كرايست تشيرتش) وتقع في الجزيرة الجنوبية من نيوزلندا التي تقع إلى الشرق الجنوبي من قارة استراليا في المحيط الهادئ وكنت سافرت إليها في عام ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥م من أجل افتتاح أول مسجد فيها وهو أقرب المساجد التي فيها إلى القطب الجنوبي، وتقع المدينة على خط

العرض ٤٤ جنوب خط الاستواء، ولذلك قال لي أهل تلك المدينة: نحن أقرب من يقول: الله أكبر إلى القطب الجنوبي.

وليس هذا وحده الذي استرعى انتباهي في تلك المدينة عندما ذهبت لافتتاح أول مسجد فيها وإنما ذلك أيضاً من معنى اسمها الذي هو (كرايست تشيرتش) أي كنيسة المسيح، وافتتاح مسجد فيها رغم بعدها عن بلاد المسلمين الأصلية، وتسميتها بهذا الاسم الذي يدل بمعناه على اسم ديني مسيحي.

وها أنا الآن أصل إلى مدينة أخرى في جزيرة (باربادوس) في البحر الكاريبي مسماة بهذا الاسم وإن كانت أصغر من المدينة النيوزلندية وتعتبر مدينة مدارية أي واقعة في منطقة غير بعيدة من خط الاستواء.

يوم الأحد: ١٤١٦/٥/٢٨هـ- ١٩٩٥/١٠/٢٢م:

مركز التعليم الإسلامي:

حضر الأخ سليمان بلبليه إليَّ في الفندق في الموعد المحدد وهو السابعة والنصف فتركنا الفندق فوراً وهو يحدثني بأننا ذاهبون إلى (مركز التعليم الإسلامي) في (كرايست تشيرتش): ومرة أخرى عجبت في ذهني من وجود هذا المركز الإسلامي في (كنيسة المسيح).

عند الباب الداخلي لمسجد مركز التعليم الإسلامي في باربادوس

وقبل ذلك أحب أن أوضح معنى بلبليه وأنه- كما قال- نسبة إلى البلبل: الطائر المغرد المعروف لأن اسم أحد أجداده هو (بلبل).

لم نسر طويلاً في شوارع بلدة (كرايست تشيرتش) حتى وصلنا مركز التعليم الإسلامي الذي تبين أنه أكبر من ذلك فهو مسجد واسع ملحقة به فصول دراسية لتعليم الصغار وإرشاد الكبار، ويحيط به فناء واسع مسور ومحفوظ.

بعد أن أدينا تحية المسجد ركعتين أخذ الأخ سليمان بلبليه يحدثني عن هذا المركز والحديث معه مختلط ما بين العربية التي تعلم منها قدراً في الرياض حيث كان أمضى سنتين في دراستها بمعهد تعليم اللغة العربية.لغير العرب في جامعة الملك سعود في الرياض وبين الإنكليزية لغته ولغة هذه البلاد، قال:

أسس هذا المركز في عام ١٩٧٩م أنفق المسلمون في كرايست تشيرتش على إنشائه وأنه هو نفسه إمامه ولذلك لقب الإمام سليمان. وذكر أن عدد المسلمين في بلدة كرايست تشيرتش ليس كبيراً.

ومن أهم الأشياء التي رأيتها هنا وجود عدد من المسلمين الجدد من سكان البلدة الذين قد اعتنقوا الإسلام، وصاروا يحضرون إلى المركز من أجل أداء الصلاة وتعلم أمور دينهم، وليس ذلك فحسب وإنما رأيتهم جاءوا اليوم من أجل خدمة المركز، فقد رأيت في فناء المسجد الخارجي ثلاثة أشخاص في ملابس لا تدل على الرفاهية وهم يعملون في قطع الأعشاب والحشائش غير المفيدة وإبعادها عن أرض المسجد.

ولكن الأخ سليمان بلبليه ذكر أن هؤلاء الأخوة هم من المسلمين الجدد وأنهم يعملون الآن بأيديهم في فناء المسجد احتساباً للأجر والثواب من الله تعالى وذكر أسماءهم وأنها (صابر) وعبدالحكيم و(عظيم محمد) وأنهم جاءوا اليوم للعمل في المسجد لأنه يوم الأحد العطلة الأسبوعية، وإلا لما استطاعوا الحضور لأنهم كلهم يشغلون وظائف مهمة منهم فلان وظيفته (مدير) في كذا، وفلان يشغل وظيفة كبيرة في الحكومة.

وحمدت الله تعالى على كوني لم يبدر مني شيء يدل على استنقاص حالتهم المادية، فجلسوا معنا بعد أن فرغوا من العمل وتبادلنا الأحاديث وتبين أن كل واحد منهم أسلم وأسلمت أسرته معه، وسارع أحدهم فركب سيارة جديدة حديثة لا يملكها إلا ذو الشأن في البلاد، وقال الأخ الإمام: إن هذه هي سيارته والإخوان أيضاً لهما هاتان السيارتان، وأشار إلى سيارتين واقفتين في حالة جيدة.

المؤلف مع الإخوة المسـلمين الجدد في باربادوس
الذين يعملون يوم عطلتهم الأحد تبرعاً في المسجد

جلسنا في مسجد المركز وهو متسع نظيف ذو نوافذ عديدة واسعة لأن البلاد حارة رطبة وفيه عدة مراوح وهو مفروش بفراش لا بأس به.

والواقع أنه لو كان وحده لعدوه مسجداً كبيراً غير أنه ليست له منارة.

ويزين المسجد لوحات عربية مثل آية الكرسي وسورة الإخلاص، وفيه رفوف مليئة بالكتب مثل ترجمة صحيح البخاري إلى اللغة الإنكليزية، وقد حمل الإمام سليمان أحد أجزائه التسعة يريني إياه وهو يقول:إنه كتاب مفيد، هل رأيته من قبل؟

فقلت في نفسي: لو كان يعلم ما أعلمه عنه لما سألني هذا السؤال فقد كان المؤلف المترجم الدكتور محمد محسن طبيباً لدينا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما كنت أعمل فيها، وهو باكستاني الأصل حاصل على

الجنسية السعودية، وعلى غاية من التدين ومحبة الخير، حتى إنه قال لي قبل أن يصل إلى سن الستين بسنتين أريد أن أتقاعد، فقلت له: قد بقي عليك وقت لبلوغ الستين، ثم إننا يمكننا أن نمدد خدمتك بعد الستين، فقال: أنا سألت الله تعالى ولا أزال أسأله أن يجعل عمري عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٣ سنة لا أريد الزيادة وأريد أن أتفرغ للعبادة قبل أن أبلغ الثالثة والستين.

أما ترجمة صحيح البخاري فقد استشارني في ترجمته فقلت له: إنك قدير في اللغة الإنكليزية وكان بالفعل يجيدها لأنه كان قد عمل مديراً لأحد مستشفيات الصدر موضوع تخصصه في بريطانيا، ولكن الأحاديث النبوية ليست كالكلام المعتاد يجوز التعبير عنه بتعبيرات معتادة، ثم أن هناك مناحي للكلام يمكن أن تدخل في باب المجاز أو ظاهر اللفظ تحتاج إلى معرفتها وبالاختصار: لابد لمن يترجم صحيح البخاري إلى لغة أخرى من أن يعرف فقه اللغة العربية، أو يعرف قدراً منه.

ولكن يمكن إذا ترجمتَه أن تعرض الترجمة على عالمين أو ثلاثة ممن يجيدون الإنكليزية ويعرفون العلوم الشرعية، فقال: هذا ممكن.

ثم صار يخبرني أنه جاد في الترجمة حتى كان يقول أكملت الجزء الأول إلى أن قال لقد أكملت الكتاب في تسعة أجزاء، وأظن أننا في الجامعة الإسلامية في المدينة عهدنا إلى أستاذين جليلين هما الدكتور تقي الدين الهلالي من المغرب وكان أستاذاً في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة والدكتور محمد أمين المصري وهو سوري وأستاذ في كلية الشريعة في مكة المكرمة بالإطلاع على الكتاب قبل طبعه.

وقد طبع الكتاب سريعاً على نفقة بعض المحسنين ونفع الله به أناساً كثراً.

ونعود إلى الحديث عن المشاهدات، فنقول: إن المسجد في مؤخرته مصلى للنساء لا باس بسعته يصلي فيه النساء الصلوات، و قد صادف حلول

وقت صلاة العصر بعد ذلك وأنا في هذا المسجد فصلت معنا نسوة من الإخوات المسلمات حديثات العهد بالإسلام، وكلهن من ذوات الأصول الإفريقية، وعادتهم أن يسدلوا ستارة من القماش دون مصلى النساء، ويتسع مصلى الرجال لمائة من المصلين، وذلك ما يحصل عند صلاة الجمعة.

بعد المسجد ومصلى النساء خلفه يأتي قسم التعليم الإسلامي وهو مدرسة أو كُتّاب لا يكاد يخلو من متعلم أو متعلمة لأمور الدين.

وقد وضعوه هنا بصفة مؤقتة ويقومون الآن ببناء قسم في آخر فناء المركز المكشوف من جهة المغرب، و لكنهم لم يرفعوه إلا بمقدار المتر ووقف بهم قصور النفقة عن المضي به أكثر من ذلك.

وهو في أرض المركز لذلك لا يكلفهم إلا البناء، وقد دفعت لهم مما معي من النقود مبلغاً رمزياً عاجلاً، وأخبرتهم أننا سننظر في مساعدتهم على ذلك بإسهام أكبر من الرابطة حيث يمكن أن نرسله لهم.

ويقع المركز على شارع اسمه (هارت قاب) وهو ضيق مزفت مثل سائر الشوارع هنا التي رأيناها حتى الآن إذ يغلب عليها الضيق، ولكنها جيدة الزفلت، وذات أرصفة لا باس بها وإن كانت دون الأرصفة والشوارع في المارتنيك من حيث العناية وأما السعة فإنها ليست أضيق منها، ويرجعون السبب في ذلك إلى أن المارتنيك تتمتع بالأموال التي تدفعها الخزينة الفرنسية لها، لأنها جزء من فرنسا، وأما بلادهم باربادوس فإنها مستقلة والدولة المستعمرة السابقة وهي بريطانيا لا تعطيهم شيئاً، بل إن المرء لا يكاد يرى للإنكليز فيها أي وجود ولا أثر لهم إلا هذه اللغة التي أصبحت عالمية وهي اللغة الإنكليزية.

بلدة سانت مايكل:

انطلقنا من بلدة كرايست تشيرتش إلى بلدة مجاورة اسمها (سانت مايكل) وذلك لزيارة مسجد مستأجر أو لنقل حسب الاصطلاح المتعارف عليه الآن: إنه مركز إسلامي.

ويقع في حي بالقرى ويسمونه (بالقرى مسجد).

أسس هذا المركز قبل سنة فقط أسسه سكان (بالقرى) من المسلمين وذلك بأن استأجروه بثلثمائة دولار أمريكية في الشهر، وقد هيأوه بأن جعلوا قسماً منه مصلى وقسماً آخر مدرسة إسلامية وذلك بمثابة كتّاب.

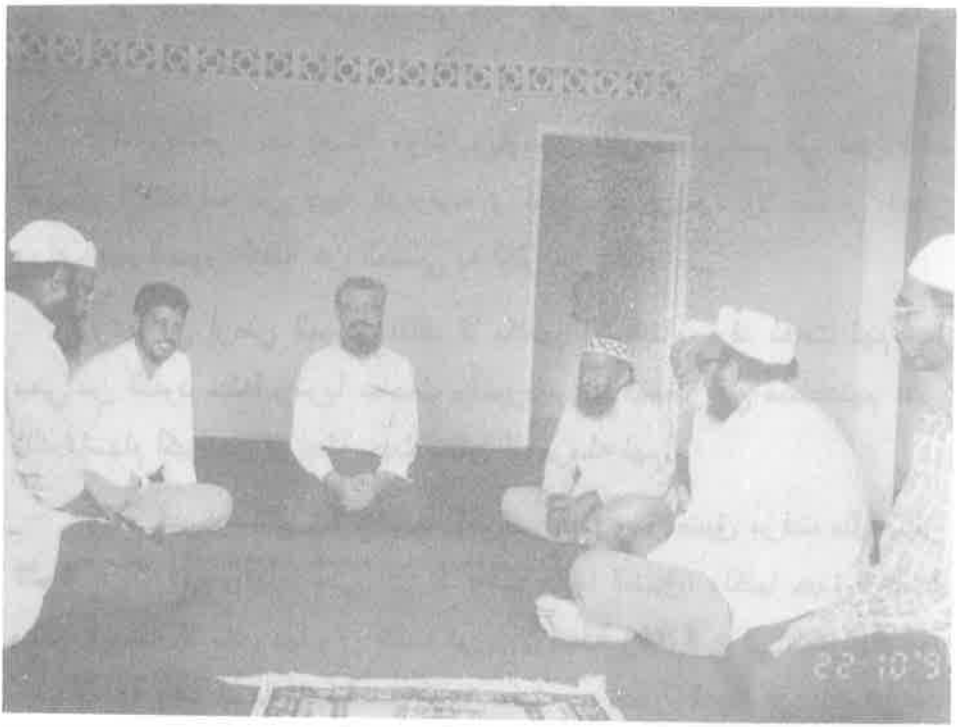

جلسة في مسجد بالقري في بلدة (سانت مايكل) في باربادوس

وقد أخبروني أن سكنى المسلمين هذه البلدة (سانت مايكل) حديث، وأنه لم يكن فيها في القديم إلا عدد قليل من المسلمين، أما الآن فإنه يسكن فيها من المسلمين خمسون أسرة تؤلف (٢٠٠) نسمة تقريباً جلهم من أصول هندية، وفيهم قليل من السود حدثاء العهد بالإسلام، وقد حضر منهم إلى هذا المسجد ثمانية رجال.

وأخبروني أنهم يسعون لتملك قطعة أرض يقيمون عليها مسجداً في هذه البلدة غير أن أقيام الأراضي مرتفعة بالنسبة إلى قدراتهم المالية، وقد وجدوا مبنى صالحاً لأن يكون مركزاً إسلامياً ولكن قيمته مائتا ألف دولار أمريكية،

وهم لا يقدرون على ذلك، ذكروا أن المسلمين في هذه البلدة يزدادون بزيادة الولادات وبسكنى الحي من جديد.

وهو حي جيد بحيث أن كثيراً من كبار القوم وأثريائهم يسكنون فيه، ومن ذلك أن رئيس الوزراء في هذه البلاد مكتبه موجود فيه.

وقد سألتهم عن كفار الهنود المسمين بالهنادك أيوجدون في هذه البلاد؟ فأخبروني: نعم، ولكنهم قليل فأكثرية الهنود في باربادوس هم من المسلمين.

وقد عقدت معهم جلسة في المركز تباحثنا خلالها في الأمور المتعلقة بالإسلام هنا، وذكروا من بين ما ذكروه أنه يحضر منهم عصراً حوالي ٢٥ شخصاً في كل يوم يتذاكرون أمور دينهم، وأن الفصل الدراسي عندهم مفروش يجلس الطلاب فيه على الأرض كما يفعل طلبة العلم القدماء.

صورة تذكارية مع المسلمين في الشارع في حي بالقري من بلدة سانت مايكل في باربادوس

وفي الختام خرج القوم لتوديعي في الشارع فالتقط أحد الإخوة هذه الصورة التذكارية معهم في الشارع الذي هو نظيف مرصف ترفرف عليه فروع أشجار كالنخيل الهندية قصيرة العسب، غير كثة الفروع، اسمها (بام) غير أنه ضيق وفي جانبيه مجرى المياه المستعملة كما يكون في المناطق الاستوائية المطيرة حيث يأتي المطر على هذه المجاري فيحمل ما بها من مياه عفنة ويذهب به بعيداً عن المساكن.

وقفة في العاصمة:

ودعنا هؤلاء الإخوة الكرام بعد أن قدمت لهم مساعدة مالية عاجلة قائلاً لهم: إنها مساعدة رمزية من رابطة العالم الإسلامي، سوف تتلوها مساعدة مجزية إذا تمكنتم من شراء أرض للمركز، وبدأتم في بناء المسجد، وقصدنا مدينة (برج تاون) عاصمة باربادوس، ومعنى اسمها مدينة الجسر وسوف يأتي الكلام على الجسر المذكور.

ولا تكاد توجد مسافات كبيرة بين العاصمة وغيرها من مدن وقرى هذه الجزيرة، وذلك لضيق الجزيرة وانتشار العمارة فيها حتى إن بعض الأماكن بين هذه المدن تكون فيها مساكن كالريفية للناس

ميدان ترافالقر:

فكانت أولى الوقفات في العاصمة في أهم ميدان قديم فيها اسمه (ترافالقر) عليه برلمان (بربادوس).

والبرلمان ذو هندسة بريطانيا والمراد بذلك أنه شبيه ببعض الأبنية التقليدية في بريطانيا وهو في أبنية غير عالية متعددة بعضها بجانب بعض على هذا الميدان المهم.

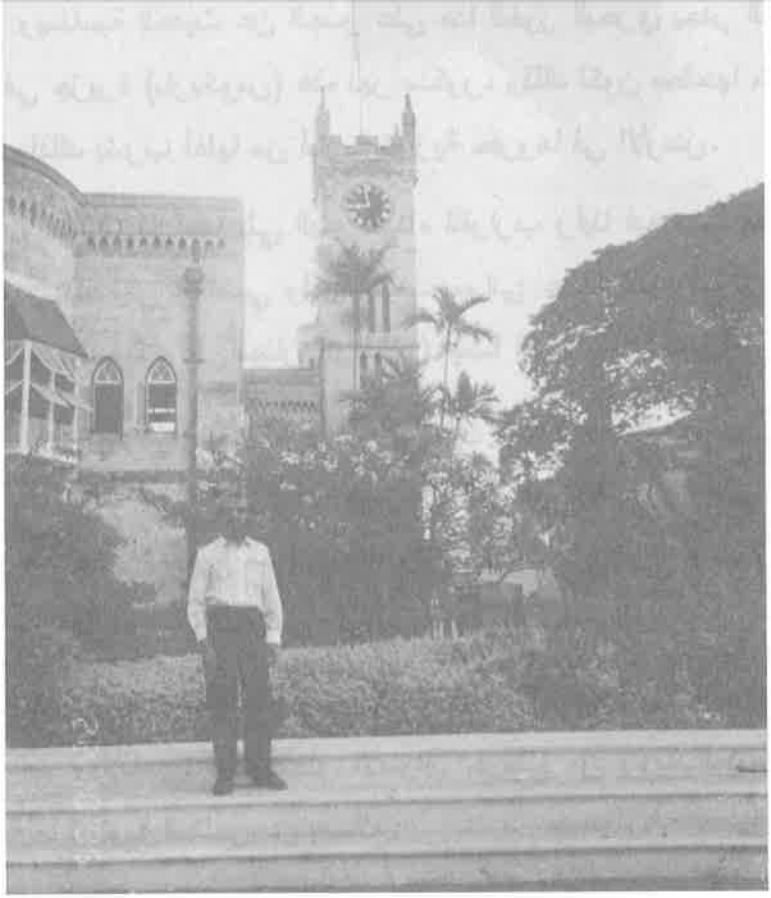

المؤلف أمام مبنى البرلمان في (برج تاون) عاصمة باربادوس

وبجانب الميدان الجسر الذي سميت به المدينة وليس بالكبير، ولا بالغريب المنظر أو المظهر ولكنه كان الجسر الوحيد في وقت من الأوقات، وقد أقاموه على خور وهو الخليج الضيق من البحر يدخل في الأرض كما ينتهي إليه شارع اسمه (برود ستريت) بمعنى الشارع العريض مع أن عرضه هو ١٧ متراً وقد ترك الجسر مهملاً غير معتنى به من ناحية النظافة والعناية مع أنه تاريخي ذو اسم مجلجل يكفي أن العاصمة سميت باسمه وأما الخور وهو الماء الذي تحته فإنه قذر لأنهم يرمون فيه ببعض النفايات ولا يحاولون أن يبدو نظيفاً حسن المنظر، ويبلغ عرض الجسر ٨ أمتار وطوله ١٨ متراً تقريباً.

وبمناسبة الحديث عن الجسر على هذا الخور البحري يجدر التنويه بأنه ليس في جزيرة (باربادوس) هذه نهر مذكور، وذلك لكون سطحها مستوياً في أغلبه ولذلك يشرب أهلها من أبار ارتوازية حفروها في الأرض.

وعند الجسر مما يلي البحر ميناء للقوارب رأينا فيه عدداً منها، وكان أكبر من ذلك في الماضي ولكن أنشئت موانئ عديدة للقوارب في الجزيرة فقلت أهميته، وتقع على ميدان (ترافالقر) أيضاً إدارة خزانة الدولة.

وهذه الجولة مع الأخ الكريم الإمام سليمان بلبليه وهو مثقف وخبير بالأمور في هذه البلاد، وقال لي: إنه من حسن حظي أن اليوم هو الأحد يوم عطلتي الأسبوعية، ولذلك استطعت أن أتفرغ للجولة معك، ولو كان ذلك في غير هذا اليوم لم استطع لأنني مدير في سوبر ماركت كبير- اراني إياه بعد ذلك وهو مغلق.

بدت شوارع المدينة وحوانيتها مغلقة أقل ضيقاً، وذلك لخلوها من السيارات والأناسي: ولكن خلو الأسواق حرمني من رؤية المتسوقين ومن معرفة ما تحتويه المتاجر من بضائع.

وجميع الحوانيت في أسواقها متلاصقة، فهي أقرب إلى الأسواق التجارية في المدن الهندية الصغيرة منها إلى منطقة الكاريبي، ولا شك في أن السبب في ذلك أن جزءاً من تجارتها هي بأيدي الهنود من مسلمين وغير مسلمين.

وفي جزيرة باربادوس بالذات لا يرى المرء حاجة لتعريف الهندي بأنه الآسيوي، لأنه لا يوجد سكان من الهنود الأمريكيين الذين هم سكان المنطقة قبل وصول الأوروبيين فباربادوس خالية منهم بخلاف بعض الجزر الأخرى في المنطقة.

المؤلف في أحد الشوارع في باربادوس

ولم يكن يزاحم التجار الهنود فيها إلا بعض الإنكليز الذين كانت لهم فيها تجارة رائجة ولكنهم غادروها كلهم ولم يبق إلا عدد لا يستحق الذكر من المتقاعدين أو الراغبين في العيش في جو حار بدلاً من العيش في جو بارد في الجزر البريطانية.

ميدان أكول ريدج:

وكانت لنا وقفة أخرى في ميدان آخر يسمى (أكول ريدج) وليس هو بالواسع مثل الذي سبقه ولكنه محاط بأماكن مهمة مثل مبنى المكتبة التي ذكروا أنها تحتوي على مقادير مهمة طيبة من الكتب والمراجع المهمة وكلها بالإنكليزية.

واسترعى انتباهي في هذا الميدان بناء على هيئة النصب أو المحراب الذي يحيط به الفراغ قد بني في وسط هذا الميدان وكتب عليه اسمه والغرض من بنائه، وهو أنه هدية تذكارية من أهالي المدينة لمناسبة إسالة المياه في الأنابيب داخلها، ولذلك وضعوا عليه صنابير للمياه لم أر فيها ماءً في الوقت الحاضر، وقد كتبوا عليه تاريخه في عالم ١٩٤٠م.

وهذا تاريخ يعتبر مبكراً على إسألة المياه في هذه الجزيرة التي لم يكن عدد السكان فيها كبيراً في ذلك الوقت وليس فيها نهر يمكن أن تكفي مياهه حاجة المدينة.

وعلى هذا الميدان أيضاً مقر الشرطة المركزية.

وعليه أيضاً مبنى المحكمة العليا وهو مبنى متواضع المظهر يرفرف عليه علم باربادوس، وعلى جانب منه فيما بينه وبين الشارع معبد يهودي قديم البناء، إذ بني عام ١٧٠٠م وهذا تاريخ متقدم بالنسبة إلى هذه البلاد، وكان اليهود فيها أكثر مما هم عليه الآن وأكثر أهمية إذ لم يبق فيها إلا نحو ٥٠ فرداً، وتقل أهميتهم التجارية عن التجار الهنود الذين أكثريتهم من المسلمين، ومع قلة عدد اليهود الآن في الجزيرة وعدم استعمال هذا المعبد الآن فإن بلدية المدينة أرادت أن تهدم المبنى وتجعل مكانه حديقة فعارض اليهود في ذلك فتركته.

وقد لاحظت عدم العناية بتجديد هذه الأبنية المهمة حتى إن مبنى قيادة الشرطة يحتاج إلى طلاء فهو حائل اللون، ولا شك أن مرجع ذلك إلى تدني دخول الحكومة بعد أن كانت الحكومة البريطانية تعتبر نفسها مسئولة عنها قبل الاستقلال، بحيث تدعم ميزانيتها إذا احتاجت إلى دعم.

في قلب مدينة برج تاون عاصمة باربادوس

أما الآن فان الحاجة للخدمات الحكومية زادت، والدخول قلت وعجزت عن سد حاجات البلاد، ولذلك صار بعض أهلها يهاجرون منها فيذهبون للعمل في بريطانيا وكندا، ويرسلون النقود إلى أهلهم هنا وبعضهم حصل على جنسية البلد الذي يقيم فيه لشعوره بضيق بلاده، وعدم ضمان مستقبلها، إضافة إلى قلة الأعمال فيها.

وهذا هو شأن سكان كثر في هذه الجزر الكاريبية التي تحاصرها مياه البحر الكاريبي بمساحاتها الضيقة، ولم يفعلوا شيئاً للاتحاد فيما بينها، أو حتى التعاون تعاوناً فعالاً يضمن لهم مستقبلاً أفضل.

وقد كنت منذ وصولي إلى هذه المنطقة أفكر في أمر أهلها والعيش في هذه المساحات الضيقة المغلقة فيها وأسأل نفسي عما تكون عليه حالهم بعد نصف قرن أو حتى بعد قرن من الزمان حيث سيتضاعف عددهم من دون أن تزيد مساحة بلادهم، ومن دون أن يؤملوا في أن يرتقي شعبهم وتتسع إمكانات حكومتهم حتى تستغل أراضي بلادهم الضيقة استغلالاً أفضل، أو أن يرتقوا بصناعتهم إلى درجة التصدير إلى البلدان الأخرى.

المؤلف على الجسر الذي سميت به مدينة برج تاون عاصمة باربادوس

وأرجو أن أعود إلى الحديث عن هذا الموضوع مرة أخرى في كتاب آخر، عندما استكمل رؤية هذه الجزر، وظني أنه لا مستقبل لها إلا إذا دخلت في اتحاد بينها بحيث تصبح تملك مجتمعة مياهاً إقليمية واسعة هي الواقعة بين هذه الجزر فتستغلها في الصيد البحري، ويكون هناك مجال لسكانها مجتمعين في التنقل

والعمل بحرية فيما بينها بحيث تتسع آفاق الوطن أمامهم ويطمئنون إلى المستقبل.

لاسيما أن أكثرهم يتماثلون في كونهم من أصول إفريقية ذات لون واحد هو اللون الأسود، ويتكلمون لغة ثقافة واحدة هي الإنكليزية، ومستوى ثقافتهم ومنزلتهم الاجتماعية متقارب.

مسجد المدينة:

ويسمونه هنا (ستي مسجد) لهذا المعنى، وهو مسجد واسع عامر مبني على طراز المساجد الصغيرة في العهد المغولي في الهند، إذ تكون ذات منائر رمزية صغيرة، وليست له منارة عالية، بل له ست من هذه المنائر الرمزية الصغيرة.

وجدنا في المسجد أحد الأخوة النشطين في الدعوة والعمل الإسلامي، واسمه (محمد ديقا) أصله من ولاية كجرات في غرب الهند، وهي ولاية عرفت المسلمين من أهلها في مهاجرهم في إفريقية وجزر البحر الزنجي الواقع شرقها فعرفت فيهم العمل لدينهم ولدنياهم لا يشغلهم أحدهما عن الآخر، فهم رجال مال وأعمال تجارية، وفي الوقت نفسه رجال دين يبنون المساجد، وينفقون على المدارس والمؤسسات الإسلامية.

وقد عرفت بعد ذلك أن أكثر المسلمين في هذه البلاد وبخاصة التجار منهم هم من أهل كجرات.

هذا وقد طبع كتاب من كتبي ذكرت فيه زيارتي لمنطقة كجرات في الهند وعنوانه: (في غرب الهند) طبعته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في سلسلة كتبها (دعوة الحق).

الفناء الخارجي لمسجد المدينة في برج تاون (باربادوس)

ومن اهتمام الأخ محمد ديقا بالدعوة أنه أول من أسس مركز التعليم الإسلامي في بلدة كرايست تشيرتش الذي تقدم الكلام عليه، وهو عضو جمعية هذا المسجد.

وذلك رغم كونه ولد في هذه البلاد جزيرة باربادوس وأنه قد فقد حاسة النطق إلا من مكبر يضعه على حلقة تحت لحيته ويتكلم فيسمع الناس صوته كالحديث من مكبر الصوت، إلا أن والده كان عظيم الاهتمام بالأمور الإسلامية حتى إنه هو الذي قام بالدعوة إلى إنشاء هذا المسجد العظيم.

فقد أخبرنا بتاريخ هذا المسجد بحضور الأخ الإمام سليمان بلبليه وأحد الإخوة المسلمين فقال: أول من بنى هذه المسجد والدي إبراهيم ديقا قام مع جماعة من المسلمين على بنائه وهو ثاني المساجد بناءً في جزيرة باربادوس.

إذ بني عام ١٩٥٧م، وكان في مكانه مصلى صغير اتخذ مسجداً لأول مرة عام ١٩٥٠م وكان بيتاً حُوِّلَ إلى مصلى.

أما المسجد الحالي (مسجد المدينة) فإنه واسع أخضر الطلاء، جميل الفراش تحيط به أروقة واسعة ويتقدمه فناء واسع أيضاً.

وفي جهة الشمال منه مدرسة إسلامية كبيرة فيها مكاتب صغيرة للطلبة الذين يبلغ عددهم ١٠٠ طالب من الذكور وصغار الإناث ولها أربعة مدرسين تدفع جمعية المسجد رواتبهم كما تدفع جميع نفقات المسجد المتكررة وغيرها.

وقد سرني ما أخبروني به من أن المملكة العربية السعودية ساعدت على بناء هذه المدرسة بجانب المسجد فأرسلت إليهم خمسين ألف دولار بوساطة السفارة السعودية في واشنطن، قالوا: وهي المساعدة الوحيدة التي تسلمناها من خارج البلاد، أما ما عدا ذلك فإنه من نفقات المسلمين هنا.

قلت للأخ (محمد ديقا) كل ما في هذا المسجد ينطق بأنه مسجد قام عليه أهل الهند من طراز البناء وطريقة الفرش، وحتى كيفية تأثيث المدرسة، فقال: هذا صحيح.

قلت: ولكن إذا فهم الناس أنه هندي للمسلمين الهنود فإنهم قد يتأخرون على اللحاق بجمعيته، أو عن الانتفاع منه.

لذا يجب عليكم أن تعملوا على إدخال إخوانكم المسلمين من أهل هذه البلاد وكلهم من ذوي الأصول الإفريقية وهم الذين يؤلفون الأغلبية من السكان، وذلك حتى يزيد عدد المسلمين ولا يصبحوا كمن يحافظ على رأس المال من دون أن يعمل على الزيادة.

فقال: هذا صحيح، ولدينا الآن طالب واحد من أصل إفريقي في المدرسة وهو المكمل لمائة طالب من طلابها.

المؤلف في محراب مسجد المدينة في برج تاون مع الأخ محمد ديقا

فعلق الأخ الشيخ (سليمان بلبليه) يقول: إن مركز التعليم الإسلامي في كرايست تشيرتش الذي رأيته قد ركز جهوده على خدمة الإخوة المسلمين من أصل إفريقي، وقد رأيت منهم أناساً فيه.

وقال: يؤلف المسلمون السود عندنا أكثرية المصلين، بخلاف المصلين في هذا المسجد فأكثرهم من الهنود.

أما الأخ محمد ديقا وهو يتكلم من مكبر للصوت قد علقه في رقبته وإذا أراد الكلام أدناه من حلقه فإنه تكلم على نواح أخرى مفيدة من أمور المسلمين حيث قال: لدينا الآن في باربادوس تسعة علماء اثنان منهم ولدا في هذه الجزيرة و٧ قدموا من الهند ويريد بالعلماء الحاصلين على شهادة عالية في العلوم الإسلامية، وذكر أن الاثنين الذين ولدا هنا ذهبا إلى الهند ودرسا هناك حتى تخرجا ثم عادا إلى باربادوس.

وقال: يوجد ٣٥ من حفاظ القرآن الكريم، وأكثرهم ذهبوا إلى مكة المكرمة للاشتراك في مسابقة القرآن الكريم في مكة المكرمة على هيئة مجموعات تذهب كل مجموعة في سنة من السنين.

قال: وفي مدرستنا هذه الملحقة بالمسجد حصة لحفظ القرآن الكريم وتجويده، وسألته عن المسلمين أيزيد عددهم؟ فأجاب، نعم يزداد المسلمون بالولادة أكثر من غيرهم كما يزدادون بالوفادة، وذلك إن بعض المسلمين من أهل البلاد يأتون إلى هذه البلاد فيتزوجون منها ويقيمون.

أما عدد المصلين في هذا الجامع فذكر أنه يصل يوم الجمعة إلى ١٣٠ مصلياً وفي وقات الصلوات اليومية المعتادة ٥٠ مصلياً، والعادة أن يصلي صف من الجماعة في أكثر الأوقات اليومية ما عدا صلاة الفجر فيصلي صف واحد، وذلك لأن بعض المسلمين تقع منازلهم بعيداً عن المسجد.

سألته عن الآذان بالمكبر ألا يعترض عليه بعض الجيران من غير المسلمين، فقال: لكننا لا نؤذن الفجر بالمكبر، بخلاف الصلوات الأخرى.

مع الأخ محمد ديقا أمام المدخل الخارجي لمسجد المدينة في برج تاون (باربادوس)

قال: وهذا أمر قرره المسلمون لئلا يزعجوا جيران المسجد من غير المسلمين وليس أمراً مفروضاً عليهم من أحد كالسلطات الحكومية.

قال: وكان لي برنامج في الإذاعة مثلما كان لوالدي يتضمن التبليغ وإيضاح أمر الإسلام، إلا أنه تركه الآن لصعوبة الكلام عليه.

ومن المفرح أنه ذكر لي أن جميع نفقات المسجد المتكررة من المسلمين هو الآن أيسر مما كان عليه من قبل، وقد علل ذلك بكون حالة المسلمين المالية- على وجه العموم- هي أحسن مما كانت عليه من قبل.

وذكر أن المسلمون كلهم تجار ما عدا اثنين يعملان في الحكومة.

ثم حدثنا الأخ محمد ديقا عن نفسه بأنه يعمل في التجارة، وأن له أربعة أبناء أحدهم اسمه فريد درس اللغة العربية بالرياض لمدة سنتين.

ثم انتقلنا إلى جولة على أقسام المسجد، وأرونا سقف الرواق وهو يكف أي يخر منه الماء إذا أمطروا، وقد قدروا نفقة إزالة هذا القسم من سقف الرواق وبنائه من جديد بخمسة آلاف دولار أمريكية أعطيتهم منها بصفة عاجلة (٢٥٠٠) أي نصف ما ذكروا أن السقف يحتاجه للإصلاح.

ويقع المسجد في حي اسمه (زوبرس لين) ذكروا أنه سمي على اسم بطل من أبطال لعبة الكركيت وهو من أهل البلاد السود.

وكنا نتجول فيما حول المسجد والشيء اللافت للنظر أمران أولهما الرطوبة البالغة مع حرارة الشمس الشديدة، فالشمس صاحية رغم وجود سحاب ثقيل على الأفق، ومن حسن الحظ أن المطر لم ينزل، وإلا لأفسد عليَّ بعض ما أردته من الكتابة والتصوير.

والثاني: أنني في هذه الجزيرة أشعر كأنما أنا في إفريقية، فاللون الغالب على الناس هو الأسود مع وجود أعداد من الهنود الذين زادهم هذا الجو سمرة على سمرة حتى الذوق العام المتمثل في ألوان الناس والأشياء كله قريب من الذوق الإفريقي أو مماثل له.

أول مسجد:

من مسجد المدينة (ستي مسجد) ذهبنا إلى (أول مسجد) الذي هو بالفعل أول المساجد التي بنيت في هذه الجزيرة والمراد بذلك أنها بنيت على هذه الصفة التي هي عليها وكان بناؤه في عام ١٩٥١م، ولم يكن يوجد قبل ذلك أي مسجد في جزيرة باربادوس رغم كون المسلمين وصلوا إلى الجزيرة أول ما وصلوا عام ١٩٣٠م، ولكن لم يكن لهم مسجد لقلتهم، وعدم اجتماعهم على هذا الأمر.

(أول مسجد) أكبر من مسجد المدينة وأفخم بناء وهو طبقتان رغم سعته وبجنبه مدرستان ملحقتان به.

أول مسجد في (برج تاون) عاصمة باربادوس

ويقع على شارع (كنزنقتون) الذي يؤلف المسلمون أكثر سكانه.

وجدنا في المسجد أحد الإخوة الذين يعتنون به واسمه محمد الياس مظهره مظهر الأخ المسلم المتمسك بالمظهر المعروف لمسلمي الهند من توفير اللحية واللباس الإسلامي في الهند حتى إن على رأسه قلنسوة (طاقية) أردت أن ألتقط صورة للمسجد، فأخبرني بعض الأخوة أن القوم هنا لا يسمحون بذلك يعتقدون أو بعضهم أن ذلك من التصوير المنهي عنه، فطلبت من الحاضرين أن يبحثوا عن صورة للمسجد حتى أنشرها في كتاب أو منشور بالعربية ليطلع عليها إخوانهم المسلمون في البلدان العربية، وقد ذهب الأخ محمد الياس يبحث عن ذلك ثم عاد معتذراً.

ذكروا أن المصلين يوم الجمعة يبلغ عددهم (٤٠٠) مصلٍ وفي الأوقات المعتادة غير الجمعة يصلى ٥٠ مصلياً وأن عدد المسلمين في الحي يبلغ (٥٠٠) نسمة.

والمسجد واسع يغلب اللون الأخضر على كل ما فيه ففراشه من البساط الموحد (الموكيت) أخضر ونوافذه العديدة الواسعة زجاجها أخضر، حتى الدعاسة عند الباب جعلوا لونها أخضر، وقلت للأخ محمد الياس ومعه أخ غيره: أريد أن التقط صورة لداخل المسجد فامتنعوا من ذلك، وعندما خرجت إلى الشارع صورت المسجد من الخارج.

وليس في هذا المسجد مصلى للنساء، بخلاف مركز التعليم الإسلامي في كرايست تشيرتش، مع أن عدد نساء المسلمين في الحي الذي فيه المسجد كبير، ولكنهم لا يريدون أن يحضرن للمسجد، قال الأخ الإمام سليمان بلبليه: إنهم يقولون: بيوتهن خير لهن.

فقلت له: إن هذه الأمور يرجع فيها إلى النصوص الشرعية بما أمر الله به ورسوله وليس إلى الاستحسان أو الدليل العقلي.

وكل شيء في المسجد نظيف، ومعتنى به حتى إنك لا ترى فيه شيئاً يحتاج إلى إصلاح أو إلى مزيد عناية.

خرجنا مع الأخوين الذين وجدناهما فيه إلى إحدى المدرستين فرأينا فصول الدراسة نظيفة ومرتبة ومستكملة لما تحتاج إليه الفصول الدراسية، وذكروا أن عدد الطلاب عندهم ١٢٥ طالباً وطالبة، وإن عدد المدرسين أربعة.

ولم نجد في المدرسة طلاباً ولا مدرسين، وذلك إنها تعطل يوم الأحد وتعمل في جميع أيام الأسبوع.

كما لم نجد عدداً كبيراً متوقعاً في المسجد في هذا الوقت من الضحى الذي ليس بوقت صلاة فأخبرونا أن السبب في ذلك أن المسلمين من التجار، وأن عدداً منهم قد ذهبوا بالسيارات إلى خارج البلدة يعرضون ما معهم من البضائع في يوم الأحد هذا.

وللمسجد منائر رمزية صغيرة كثيرة عددتها فوجدتها ثلاثين بالإضافة إلى أربع منائر أكبر منها وإن تكن صغيرة.

وطلاء المسجد من الخارج هو بالأبيض والأخضر بخلاف باطنه فكله أخضر وصورته من الشارع، كما التقطت لي فيه صورة تذكارية.

ومن الطريف أنني وأنا أبحث عن مكان مناسب لالتقاط صورة عامة للمسجد منه رأيت قفصاً فيه قرد أخضر اللون غير كبير من فصيلة نادرة وتبين أن البيت لأحد المسلمين وأن القرد قد أعجبه فوضعه في هذا القفص خارج بيته حتى يتفرج الناس برؤيته. وقد ذكروا أن القرد هو من الجزيرة نفسها.

شاطئ البحر:

انتقلنا من العاصمة (برج تاون) إلى منطقة من الجزيرة سرعان ما وصلنا فيها إلى البحر فذكرت ما قيل: (كل الطرق تؤدي إلى روما) وهنا كل الحدود بحرية لأن باربادوس جزيرة غير كبيرة فهي مثل جزيرة المارتنيك أينما اتجه المرء واستقام اتجاه سيره وصل البحر أو رآه غير بعيد منه.

على شاطئ باربادوس

ومع أن كل حدود الدولة بحرية فإن الشاطئ الصالح للسباحة والتمدد ليس في كل اتجاه لأن بعض الشواطئ صخرية ولا تصلح لذلك.

ومثلما أنه لا توجد أنهار في الجزيرة فإنه لا توجد فيها جبال أيضاً، وإنما توجد أماكن مرتفعة في إحدى جهاتها مما ذكرني بجزر (مالديف) الواقعة في المحيط الهندي، حيث لا توجد فيها جبال ولا يعرفون في لغتهم كلمة (جبل) كما لا توجد فيها سباع مفترسة ولا حيات ولا عقارب لاسعة، وذلك لضيقها عن ذلك، ولاستقامة سطحها الذي لا يوفر مخابئ أو ملاجئ للسباع فيها، وقد ذكرت ذلك في كتاب (رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا) الذي طبع أكثر من مرة.

وجزيرة باربادوس هذه خضراء لكنها دون خضرة جزيرة المارتنيك، وهي جيدة الشوارع ولكنها دون جودة الشوارع في المارتنيك أيضاً.

جامعة ويست إند:

وصلنا في تجوالنا إلى جامعة (وست إند) والجامعات في الدول الصغيرة لها أهمية خاصة لقلة السكان وصعوبة الالتحاق بجامعة أخرى.

المؤلف في جامعة (ويست إند) في باربادوس

وهذه الجامعة أسست في عام ١٩٧٠م، ومن عجائبها أن كلياتها مفرقة في أكثر من دولة فإدارتها وإحدى كلياتها موجودة في دولة ترينداد المجاورة الواقعة في البحر الكاريبي، ولكن على مقربة من طرف القارة الأمريكية الجنوبية، وتوجد إحدى كلياتها في جمهورية (جامايكا) البعيدة شمالاً وإن كانت لا تخرج عن مياه البحر الكاريبي.

قال: ولا مشكلة فيها حتي الآن، قلت له: معنى هذا أنهم تعاونوا في المجال الجامعي دون غيره؟ فقال: نعم، وفي لعبة الكركيت، و باقي المجالات لم يتعاونوا فيها.

قلت: أولى بهم أن يتخذوا من تعاونهم هذا مثالاً للتوسع في التعاون حتى يشمل اتحاداً كاملاً أو اتحاداً (فدرالياً) لأنهم جميعاً في حاجة إليه.

وقال الأخ سليمان بلبليه: لقد تخرجت في هذه الجامعة من قسم الاجتماع، ولذلك أجد لها مكانة عزيزة في نفسي.

وسألته عن مجانية التعليم لمناسبة الكلام على هذه الجامعة، فذكر أن التعليم كله مجاني، وأن مواردِ الحكومة كلها من الضرائب.

بدايات تاريخ بربادوس:

وقفنا على نصب لافت للنظر في ناحية من الجزيرة قرب الشاطئ كتب عليه أنه أقيم لمناسبة وصول أول رجل إنكليزي إلى جزيرة بربادوس في عام ١٦٠٥م وذكروا أن النصب أيضاً يخلد إرساء أول سفينة إنكليزية على شاطئ باربادوس قبل ٣٠٠ سنة من تاريخ عينوه لم نستطع الاهتداء إليه، بسبب محو أو نحوه في الكتابة، وإن كانوا ذكروا اسم السفينة وأنه معناه: (زهرة الزيتون) وإنها وصلت في أول يوليو، وهذا الاسم كان للسفينة قبل أن تعرف باربادوس التي لا يوجد فيها ولا فيما حولها زيتون لأنها في منطقة مدارية حارة.

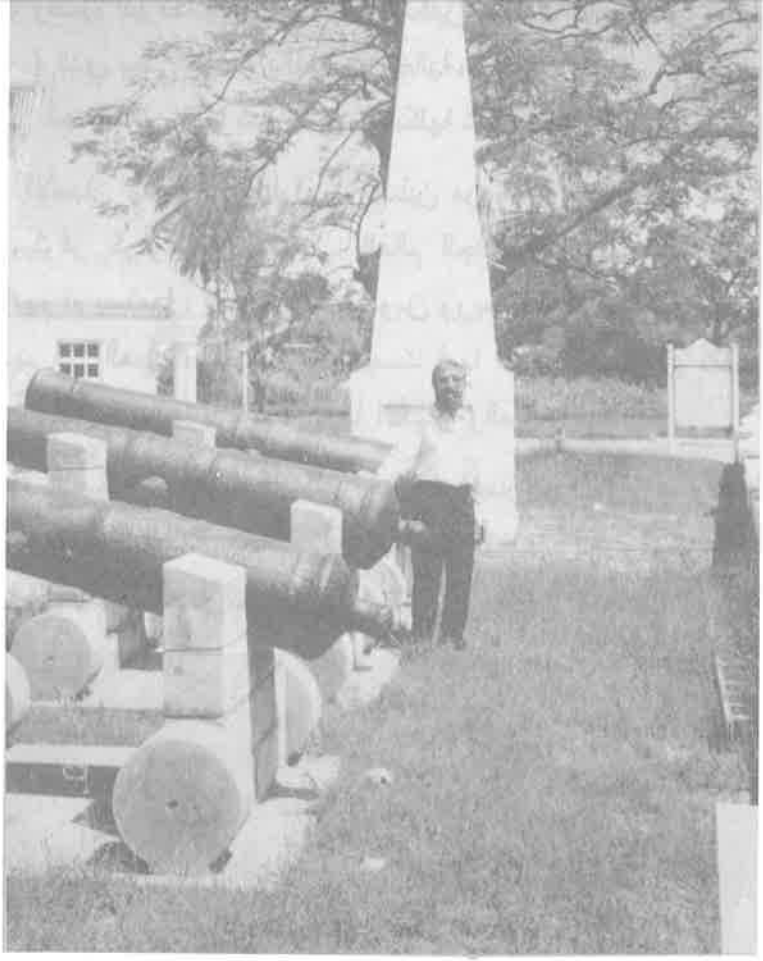

المؤلف بجانب المدافع الأثرية لدى النصب التذكاري في باربادوس

أما أول رجل أنكليزي وصل إلى باربادوس فقد أوضحوا اسمه بأنه رجل دين يدعى (كي، جيمس) وقد ذكروا أن الجزيرة اعتبرت ملكاً للتاج البريطاني، لأنه لم يكن يوجد فيها أحد من الناس عندما وصلها الإنكليز، بل كانت خالية من السكان، ويقول بعضهم: إن الجزيرة ربما كانت مأهولة قبل ذلك بأقوام من الأرواك سكان المنطقة ولكنهم رحلوا عنها وهذا افتراض.

وقد وصل البرتغاليون إليها قبل الإنكليز، ولذلك كان اسمها مأخوذاً من (باربادوس) الذي يعني اللحية باللغة البرتغالية، ولكن لا أدري لم سميت بذلك، وقد قال لي أحدهم: إن فيها شجرة يشبه شكلها شكل لحية الإنسان فسميت بها.

أما الأسبان الذين كانوا أول الواصلين من الأوروبيين إلى هذه المنطقة لأن (كريستوفر كولومبس) مكتشف العالم الجديد قد حضر إلى هذه البلاد باسمهم فإنهم لم يستعمروا جزيرة باربادوس وربما كان ذلك لعدم وجود سكان يستفاد منهم في العمل بها، كما أنها ليست فيها أنهار تصلح أن تقام زراعة عليها في منطقة من الجزيرة تكثر فيها الأنهار والمياه.

وهذا النصب قد أقامه الإنكليز إبان استعمارهم الجزيرة، وقد وضعوا مدافع ثلاثة كبيرة قديمة بجانبه أي بجانب النصب ذكروا أنهم كانوا قد استعملوها في بعض المعارك الحربية.

أمام المكتبة العامة في (برج تاون) عاصمة باربادوس

هذا وقد رأيت فرقة كبيرة من مصوري التلفزة في المكان يصورونه ويصورون ما حوله وكلهم من الأوروبيين، وربما كانوا من الإنكليز الذين يستعبدون أمجادهم التاريخية الموسعة في هذه البلاد.

ويقع هذا النصب في قرية من الجزيرة اسمها (هول تاون) وهي منفصلة عن العاصمة (برج تاون) ذكروا أن تسميتها (هول تاون) على اسم رجل بريطاني.

وأكثر بيوتها من الخشب مؤلفة من طابقين وذات سقوف مسنمة، وقد اخبرونا أنه يأتيهم الإعصار في بعض السنين وأنه لم يصبه منهم شيء في هذا العام لا هم ولا غيرهم من الجزر في المنطقة ما عدا جزيرة (سان مارتن) التي سنزورها فيما بعد بإذن الله، وما عدا جزيرة بورتو ريكو التي سوف نزورها أيضاً بعد زيارة جزيرة (سان مارتن).

ومن الغريب أنهم عللوا اتخاذ البيوت الخشبية لمجيء الإعصار في بعض الأحيان مع العلم بأن الخشب يخربه الإعصار أكثر مما يخرب البيوت المبنية من الأسمنت، ولكن ذلك راجع إلى سهولة إعادة ترميم أو إعادة بناء البيوت الخشبية، بخلاف البيوت التي تبنى بلبن الأسمنت بناء ليس قوياً، أما البيوت التي تبنى بالأسمنت المسلح، فإنها هي التي تصمد للأعاصير في العادة.

بلدة اسبايت استون:

سلكنا شارعاً محاذياً للبحر أكثر ما فيه من الأشجار ظهوراً النارجيل الأخضر فوصلنا بلدة كتبوا اسمها على مدخلها وهو (اسبايت استون) لم ألاحظ فيها ما يميزها عن غيرها من القرى أو المدن التي هي كلها صغيرة هنا، بل إن القرى أيضاً تبدو كأنها الأحياء الضيقة من المدن، وإلا فإن المنازل والمباني فيها ليست أقل مستوى من المباني في المدن إلا أنها لا تكون فيها أبنية متعددة الطبقات وليس فيها كلها ساحات واسعة، وإنما هي هذه الشوارع الضيقة.

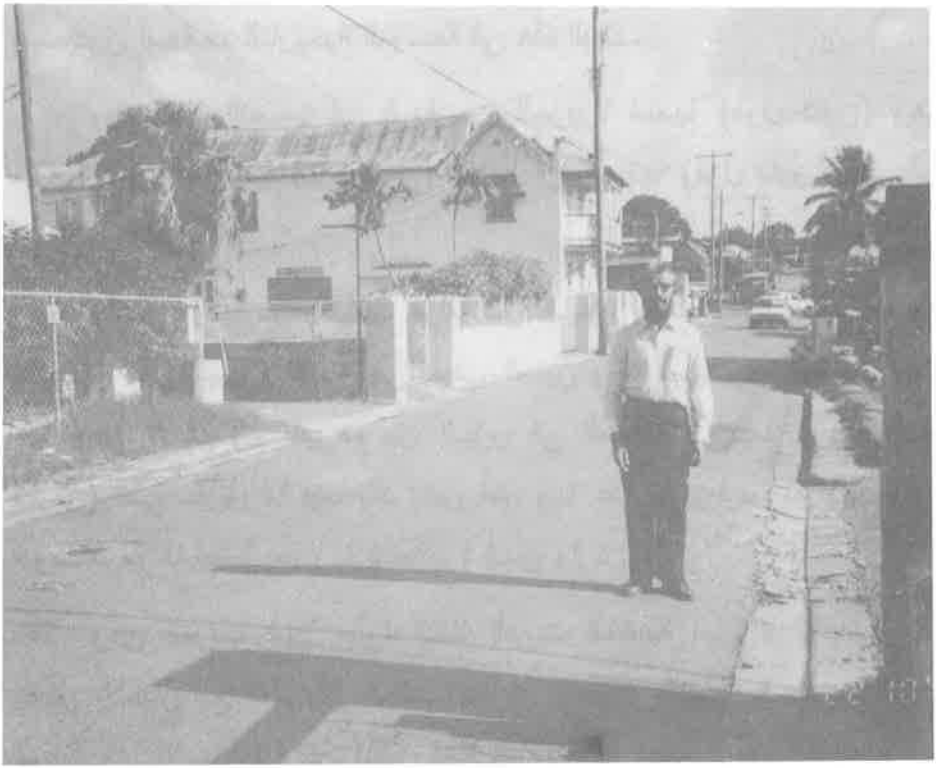

المؤلف في الشارع الرئيسي في بلدة (اسبايت استون) في باربادوس

ورأيت في بلدة (اسبايت استون) هذه جماعات من السياح الأوروبيين وهم يسيرون فيها بأمان إذ البلاد آمنة والشعب مشهور بطيبته وعدم روح العداء للأجانب لديهم رغم مخالفتهم في اللون، إذ عامة الشعب هنا وهو شعب الجزيرة الأصيل هم من السود، ورأيت حافلة حولها بعض الناس تبين أنهم خارجون من كنيسة في البلدة تقع قرب شاطئ البحر،وظني أنهم من السياح.

ريف باربادوس:

خرجنا من بلدة (اسبايت استون) إلى الريف غير المسكون، ولم أكن أظن من قبل أن هذه الجزيرة فيها أماكن خالية من السكان، وذلك لكثافة سكانها بالنسبة إلى مساحة الجزيرة فسكانها حوالي مائتي ألف نسمة ومساحتها لا تزيد على ١٦٦ ميلاً مربعاً بطول ٢١ ميلاً في عرض ١٣ ميلاً.

وهذا الريف أكثره معمور بالزراعة ذكروا أنهم يستوردون بعض الغذاء وبخاصة الأرز وأنهم ينتجون مقادير من البطاطس واليام والموز الذي يطبخ، ولاحظت أن الموز ليس كثيراً عندهم رغم موقع بلادهم المداري، والريف ليس جميلاً بمقاييس الجمال الأخضر في المناطق الاستوائية ولكن البلاد ليست جرداء، بل هي خضراء خضرة معتدلة وقد رأيت فيها حقولاً من حقول قصب السكر.

ثم وصلنا إلى منطقة جيدة كثيفة الاخضرار ليست فيها مساكن وإنما هي حقول قصب السكر النضرة.

وزاد عجبي من وجود أماكن فيها خالية من السكان إلى أن تذكرت أن سنغافورة أصغر منها وأنها تؤوي أربعة ملايين من السكان، إلا أنه ينبغي أن يتذكر المرء أن الأبنية في سنغافورة أكثرها عالية جداً، بل تكاد تعد من ناطحات السحاب، وأنها بلاد مصنعة وتملك خبرة في إدارة المال والأعمال التجارية، ومهارة في البنوك ونحوها أهلتها للحصول على دخول عالية، وحصلت من ذلك على رساميل كبيرة.

الشيخ الأخ سليمان بلبلية في القسم الراقي من مدينة برج تاون

وقد أسرع الأخ الإمام سليمان بلبليه بسيارته التي هي جديدة مكيفة وهو يقول: إن المنطقة هذه كما ترى ريفية خالية فنحن نسرع لكي نستفيد من الوقت الباقي.

العودة إلى كرايست تشيرتش:

في الثانية عشرة والربع كنا نعود إلى فندقي في كرايست تشيرتش المسمى (أوسس هوتيل) أو فندق الواحة،وقد خيل إليَّ أنني رأيت كل أنحاء جزيرة باربادوس.

وقد لاحظت أنه لا توجد فيها ولا في طرقها جسور ولا أنفاق، وإنما هي المستديرات يضعونها في مفارق الطرق.

وكنت كلمت أصحاب الفندق في أن ينتظروني في الفندق في الواحدة بدلاً من المعتاد وهي الثانية عشرة فأجابوا إلى ذلك، وقد دخلت غرفتي لدقائق بينما كان الأخ سليمان بلبليه يذهب إلى بيته ليعود في الواحدة.

وفي الموعد المحدد دفعت لفندق (أوسس) ما بقي لديَّ لهم وغادرته مع الأخ سليمان للذهاب إلى أحد المطاعم الجيدة لتناول الغداء.

المطاعم العربية:

كنت منذ وصلت إلى باربادوس أسأل عن وجود العرب فيها فيجيب الإخوة المسلمون: أنهم غير موجودين، وتبين لي بعد ذلك أنهم يقصدون العرب المسلمين دون غيرهم، فهم الذين لا يوجدون في باربادوس، أما العرب المسيحيون فقد تبين أن لهم وجوداً هنا.

قال لي الأخ سليمان: أتريد أن تتغدى في مطعم عربي؟ إنه جيد ونظيف، فقلت له: نعم، وشكراً، قال: وهذا مطعم راقٍ ولكنه ليس المطعم العربي الوحيد في هذه البلاد فهناك غيره مثله.

أول ما دخلت المطعم وجدت على أول مائدة فيه أسرة عربية نظر إليَّ رجلها كما نظرت إليه، وقلت له وهو يقول لي في نفس الوقت أأنت عربي؟ فقال كل واحد منا لصاحبه، نعم عربي، قال الرجل: أنا لبناني من المزرعة في بيروت اسمي (إلياس قازان) وأولادي هؤلاء هم ثلاثة وزوجتي لا يعرفون العربية لأن أمهم من هنا من باربادوس، وتبين أنها ليست عربية ومن الأقرب أنها أوروبية الأصل إلا أن الجو الحار أثر في وجهها فأذهب منه بعض رونقه وصفائه.

قال العربي اللبناني إلياس قازان: يوجد في باربادوس عشرة أشخاص من لبنان يؤلفون ثلاث أسر إحداها أسرتي، قال: وكلنا مسيحيون ولا يوجد عربي مسلم هنا.

قال: ويوجد سوريون قدماء في هذه البلاد وكلهم من المسيحيين أيضاً ويبلغ عددهم مع أسرهم وأطفالهم مائتي نسمة.

وقال كما قال غيره ومنهم الأخ سليمان: إن العرب المسيحيين الموجودين في هذه البلاد كلهم أثرياء وأكثرهم يعملون في التجارة.

واسم المطعم غير عربي فهو تشيفيتو من أكثر الأشياء فيه لفتاً للنظر لوحات فيه عديدة تقول: التدخين ممنوع، ولذلك كان اللبث فيه مريحاً.

طلبنا سمكاً وأرزاً وسلطة وخضرات مطبوخة ومعها شراب البرتقال ثم الشاي وثمن ذلك للشخصين ٥٥ دولاراً باربادوسياً ويساوي ذلك ٢٧,٥ دولاراً أمريكية، فالدولار البربادوسي يساوي نصف دولار لا يزيد ولا ينقص.

هذا ويعتمد المطعم على خدمة الزبائن أنفسهم بأنفسهم وبخاصة في السلطات المعروضة على هيئة مائدة مفتوحة، إلا أنها قليلة التنوع نزرة المقادير مما يعكس طبيعة الزراعة في هذه البلاد وأنها غير واسعة.

وقد قابلنا في المطعم أحد الإخوة المسلمين من أصل إفريقي واسمه (عالم بن عبدالصابر وازمن) وهو من الإخوة المعروفين بقدم إسلامهم، إذ أسلم عام ١٩٧٤م، وقال الأخ سليمان: إن هذا الرجل يشجع مركزنا مركز التعليم الإسلامي، وربما كان هو أقدم المسلمين من المواطنين الأصلاء.

مع رئيس المسلمين:

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عندما فرغنا من الغداء في المطعم فذهبنا لزيارة الأخ (محمد علي بان) في بيته وهو أحد زعماء المسلمين في هذه الجزيرة ووصفه بعضهم بأنه رئيس المسلمين، استقبلنا الرجل في بيته الذي يملكه وهو أشبه بالدارة (الفيلا) ويقع في حي (بالقري) الذي فيه المركز المستأجر الذي تقدم الكلام عليه عند ذكر بلدة (سان مايكل).

صورة تذكارية مع إمام مسجد بالقري في شارع المسجد مـــن بلدة سانت مايكل في باربادوس

وقد دفعت المبالغ المالية القليلة التي رأيت دفعها للمسلمين هنا وهي مساعدة مركز التعليم الإسلامي، ومسجد بلقري ومسجد المدينة و ذلك في بيته حيث حضر أيضاً بعض الإخوة المسلمين.

وقدم لنا الأخ الماء البارد وعصير الفاكهة المثلج الذي له وقع حسن في النفس والبدن في هذه البلاد الحارة الرطبة.

العودة إلى مركز التعليم الإسلامي:

كانت لا تزال في الوقت بقية قبل أن نخرج إلى المطار لمغادرة جزيرة باربادوس، لذلك رأينا أن نقضيها في مركز التعليم الإسلامي في راحة فيه وهو مفروش ونظيف وفيه مروحة قوية تبدد الرطوبة، وقد أسرع الإخوة فأحضروا فراشاً ووسادة، وأحد الإخوة المسلمين الذي بقي حولي إضافة إلى الأخ الكريم محمد ديفا.

ولم يغير من جلوسي إلا حضور جماعة من الإخوة المسلمين الجدد الذين جاءوا لأداء صلاة العصر في المركز وبعضهم أحضر معه سيارته وزوجته وأطفاله للصلاة فصلت النسوة خلف الرجال، و أم الناس لصلاة العصر الإمام سليمان بلبليه وكنت صليت العصر جمعاً مع الظهر.

وكان جميع المصلين من الإخوة المواطنين السود ما عدا اثنين، وفرغوا من الصلاة في الرابعة والنصف، وكان يبدو على وجوه هؤلاء الإخوة والأخوات من المسلمين الجدد والمسلمات نور الإيمان، وطمأنينة النفس.

مغادرة باربادوس:

خرجت مع الأخ الإمام سليمان بلبلية إلى المطار بسيارته المعتادة في الخامسة من بعد العصر، وقد بقيت على غروب الشمس أربعون دقيقة، وكانت السحب الثقال التي تشبه في منظرها الجبال تجلل الآفاق، إلا أن المطر لم ينزل لحسن حظي.

وقد رأيت من طريق المطار في هذا النهار ما لم أره عندما وصلت إليه في الليل، فرأيت أنه تحيط به حقول من قصب السكر واسعة.

وجدت المطار مزدحماً إذْ فيه طائرات أخرى غير طائرتي ومنها طائرة كبيرة للخطوط البريطانية مسافرة إلى لندن والعادة أن تنتظم مثل هذه الطائرة الكبيرة أكثر من مطار واحد في هذه المنطقة الكاريبية.

الركاب في المطار يتألفون من ثلاثة أقسام رئيسية أولها: السود الخلص الذين يؤلفون أكثرية السكان في باربادوس مثلما يؤلفون في أكثر هذه الجزر ماعدا ترينداد التي يؤلف الأفارقة الأصول فيها حوالي نصف السكان، والنصف الآخرهم من أصول هندية آسيوية.

ثانيها: البيض المتغيرون وغالباً ما يكون تغيرهم بسبب العيش في هذه البلاد، إذ يكونون في الغالب قد ولدوا في هذه المنطقة المدارية الحارة، وربما يكون بعضهم قد ولد آباؤهم من قبلهم فيها.

ثالثها: الخلاسيون وهم المختلطون ما بين السود والبيض أو بين السود والهنود الآسيويين وهؤلاء وإن لم يؤلفوا الأغلبية فإنهم موجودون لا يكاد النظر يخطئهم.

وأما المطار فقد تجلت سعته وكثرة مكاتب الترحيل فيه.

وخرجنا سيراً على الأقدام إلى حيث تقف طائرتنا الصغيرة ذات المحركين المروحيين التي هي تابعة لشركة (ليات) كما كانت الطائرة التي قدمت بها إلى هذه الجزيرة.

غادرت مطار (باربادوس) في الساعة السادسة إلاّ عشر دقائق قاصدة جزيرة ڤرينادا، وللرحلة في ڤرينادا وما بعدها من الجزر حديث بل أحاديث أخر في كتاب آخر من كتب هذه الرحلات الكاريبية.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٢
مقدمة ١٥
سبب الرحلة ١٥
إلى جزيرة المارتنيك ١٩
الوضع السياسي ٢٠
الوضع الاقتصادي ٢٠
المسلمون في المارتنيك ٢١
المركز الإسلامي ٢٢
إدارة المركز ٢٣
عدد المسلمين ٢٤
النشاط الإسلامي ٢٥
تسجيل المركز ٢٧
من الرياض إلى باريس ٣١
في مطار باريس ٣٢
من باريس إلى المارتنيك ٤٠
اللحاق بالشمس ٤٣
في مطار المارتنيك ٤٤
مأدبة عربية ٤٨
صباح المارتنيك ٥١
جولة في مدينة فورن دو فرانس ٥٤
على شاطئ البحر ٥٥
قلعة فرنسا ٥٦
ميدان الجنرال ديقول ٥٨
المؤلف الأديب يحكم المدينة ٦٠

أرض المسجد ٦٠
البركان الذي أفنى العاصمة ٦٣
اسم الجزيرة قبل وصول الأوروبيين ٦٥
المركز الثقافي الإسلامي ٧١
جمعة المارتنيك ٧٤
تمرات أم ناصر ٨٠
مأدبة سنغالية ٨٢
العودة إلى الجولة ٨٣
في وسط المدينة ٨٤
سوق الخضرات ٨٥
محلات محمود منصور ٨٨
منجر الحداد ٨٨
تغيير التذكرة ٩٢
الاجتماع بالمسلمين ثانية ٩٤
جولة في جريرة المارتنيك ٩٨
إلى جنوب المارتنيك ١٠٠
بلدة سانت ليس ١٠٣
الماء والخضرة والوجه الأخضر ١٠٤
الاستراحة الخضراء ١٠٦
مطعم ماكنجا ١٠٨
العودة إلى فور دو فرانس ١١١
مجلس المنطقة ١١٢
أوبتال كلارا وقصة إسلام رئيس الجمعية ١١٤
ميناء العصفور الوردي ١١٧
العودة إلى المركز الإسلامي ١٢٠
مغادرة المارتنيك ١٢٠
باربادوس ١٢٣

الخلفية التاريخية ١٢٤
وضع المسلمين في باربادوس ١٢٤
من فورت دو فرانس إلى باردوس ١٢٧
في مطار سانت لوسيا ١٢٩
في مطار باربادوس ١٣١
في مدينة كرايست تشيرتش ١٣٤
مركز التعليم الإسلامي ١٣٧
بلدة سانت مايكل ١٤١
وقفة في العاصمة ١٤٤
ميدان ترافالقر ١٤٤
ميدان أكول ريدج ١٤٨
مسجد المدينة ١٥١
أول مسجد ١٥٧
شاطئ البحر ١٦٠
جامعة ويست إند ١٦١
بدايات تاريخ بربادوس ١٦٢
بلدة اسبايت استون ١٦٥
ريف باربادوس ١٦٧
العودة إلى كرايست تشيرتش ١٦٨
المطاعم العربية ١٦٩
مع رئيس المسلمين ١٧٠
العودة إلى مركز التعليم الإسلامي ١٧٢
مغادرة باربادوس ١٧٢
الفهرس ١٧٥

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

https://dawacenter/

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.
٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.
٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).
٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.
٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.
٦- رحلة المسافات الطويلة.
٧- حول العالم في خط متعرج.
٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.
١٠- العودة إلى غرب إفريقية.
١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.
١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.
١٤- رحلة الشمال.
١٥- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.
١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.
١٧- تجوال في بلاد البرتغال.
١٨- رحلة الأندلس.
١٩- زيارات خاطف
مختلفة.
٢٠ - العودة إلى داغ

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.
٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.
٢٣- في الشمال الغربي من الهند.
٢٤- في أقصى شرق الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٥- رحلات في بلاد الملايو.
٢٦- في مهد الترك : تركستان الشرقية.
٢٧- في أحناء إندونيسيا.
٢٨- في شمال شرق آسيا.
٢٩- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.
٣٠- إلى تاجيكستان، ثانية.
٣١- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٢- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.
٣٣- رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٣٤- رحلة الجنوب.
٣٥- شمال البرازيل.
٣٦- وسط البرازيل.
٣٧- فنزويلا وترينداد.

رحلات في أمريكا الشمالية

٣٨- وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.
ء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٠- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤١- المارتينيك وبربادوس.
٤٢- دومنيكا وقوادلوب وأنتيقوا.
٤٣- بور توريكو وجمهوري
الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٤- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٥- في شمال أستراليا.
٤٦- في جنوب أستراليا.
٤٧- في شرق أستراليا.
٤٨- في غرب أستراليا.
٤٩- غينيا الجديدة آخر الغينيا
زيارة.
٥٠- الإلمام بالمحيط الهادئ م
أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥١- بلاد المكسيك وقواتيمالا.
٥٢- السفر والأوبة من كوبة.
٥٣- التشريق بعد التغريب ،
بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٤- جمهورية القبائل الروسية.
٥٥- إلى الشرق الأقصى الروسي.
٥٦- مقال في السفر إلى منط
الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٧- غرب سيبريا.
٥٨- شرق سيبريا.

Dar Altholothia
9786030008711
SR 10.00

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
مطبعة النرجس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦
ردمك: ١-٠٨٧١-٠٠-٦٠٣-